

مكتبة احسان عبد القدوس
الكتاب



الخيوط الرفيع

احسان عبد القدوس



0098063

Bibliotheca Alexandrina

الفصل الرابع

829.736

مطبوعات



قطاع الثقافة

رئيس مجلس الإدارة :

إبراهيم سعدة

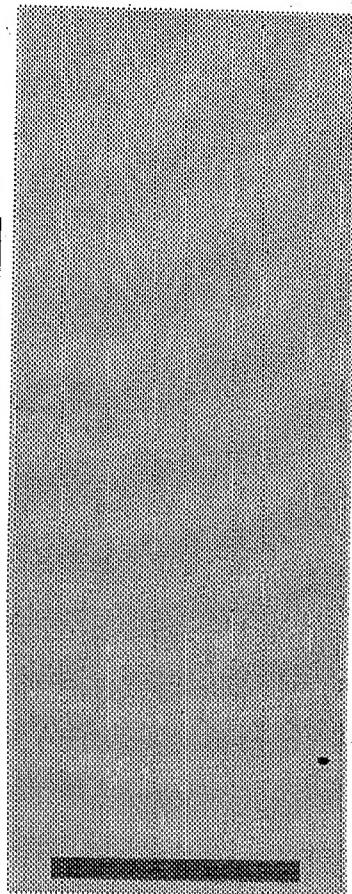
أخبار اليوم

قطاع الثقافة

دار أخبار اليوم
قطاع الثقافة
جمهورية مصر العربية
٦ ش الصحافة القاهرة
تليفون وفاكس: ٥٧٩٠٩٣٠



إحسان عبد القدوس



الإخراج الفني :

أحمد السعيد

الغلاف بريشة الفنان :

عمرو فهمي

مقاله

شئ اسمہ الحب
وشئ اسمہ: غریزة التملك
وبین الحب وغریزة التملك خیط
رفیع.. رفیع جدا.. اذا ما تبینته
تکشف لك الفارق الكبير
«احسان»

الخيطة الرفيع

شيء اسمه: الحب..
وشيء اسمه: غريزة التملك..
وبين الحب وغريزة التملك خيط رفيع.. رفيع
جدا.. اذا ما تبينته تكشف لك الفارق الكبير!!
ان الحب عاطفة قد تسمو بك دائما الى مرتبة
الملائكة..

والتملك غريزة تنحط بك دائما الى مرتبة الحيوان..
الحب يدفعك الى ان تضحي بنفسك في سبيل من تحب..
وغريزة التملك تدفعك دائما الى ان تضحي بغيرك في
سبيل نفسك..

وعندما تحب تغار لمن تحب.. تغار لسعادته وراحته
وسلامته.. والتملك يجعلك تغار لنفسك.. لسعادتك، وراحتك،
وسلامتك.. وشهوتك!
الحب عطاء.. سخاء!
والتملك اخذ.. اناية!

ورغم ذلك فان من الصعب ان تتبين الخيط الرفيع الذي
يفصل بين الحب وغريزة التملك فان الحب - حب الانسان لا
حب الملائكة - مقرون دائما بالتملك.. فكل من يحب يتمنى ان

الخيوط الرفيع

يمتلك من يحب، وقد تتحقق امنيته فتكتمل له عناصر الحب، فإذا لم تتحقق امنيته يبقى الحب ناقصا لاحد عناصره، ولكنه يبقى؟

فالتملك عنصر من عناصر الحب..

لكن الحب ليس دائما عنصرا من عناصر التملك، فانك تستطيع ان تمتلك دون ان تحب.. كل ما هنالك ان غريزة التملك قد تشتد بك وتعصف بنفسيتك حتى يخيل اليك انك تحب.

هذا هو الخيط الرفيع..

وانى احذر القراء من ان يحاولوا البحث وراء هذا الخيط، أو يتساءل كل رجل منهم ان كانت فتاته تحبه او فقط تحرص على ان تمتلكه، او تتساءل كل فتاة ان كان رجلها يحبها حقيقة ام فقط يتباهى بامتلاكها ليرضى غريزته. ويوم يبحث الجميع وراء الخيط الرفيع ويعم هذا التساؤل، تشقى النفوس، ويتبين ان تسعين فى المائة من الزيجات أو العلاقات التى تبدو سعيدة ليس للحب دخل فيها، انما هى سعادة وهمية تقوم على حرص كل منهما على امتلاك الآخر.. وان كلا منهما على استعداد ليخون الآخر مع حرصه على امتلاكه، فان غريزة التملك لا تحول دون الخيانة بل تدفع إليها.. فانك عندما تمتلك امرأة تسعى لتمتلك ثانية وثالثة، وكذلك المرأة عندما تملك رجلا تسعى لامتلاك ثان وثالث.. تماما كامتلاك المال أو العمارات.

وهذا يفسر لنا لماذا تخون هذه الزوجة المحافظة التى تبدو سعيدة بزوجها وبيتها واولادها.. لماذا تخون زوجها وقد وفر لها الشباب والمركز الاجتماعى وضمن لها المستقبل؟!

الخييط الرفيع

ولماذا يخون هذا الفتى فتاته، وقد وفرت له الشباب والجمال وحسده عليها الجميع؟

ولماذا تحرص الزوجة الخائنة على الإبقاء على زوجها ويحرص الفتى الخائن على فتاته؟

ثم لماذا يقتل الرجل الخائن امرأته اذا خانتها، أو تقتل المرأة الخائنة أجلها اذا خانها.. وكل ذلك باسم الحب، رغم ان الحب يحمل معنى الإبقاء على من تحب، واسعاده، ولو على حساب سعادتك ومحواطفك؟!

انه الخييط الرفيع..

فالحب هو الذى يحول دون الخيانة.. ودون القتل.. ودون الغيرة المجنونة الحمقاء..

والتملك هو الذى يدفع إلى الخيانة.. وإلى الهدم.. وإلى الانانية القاتلة..

وصدقوني عندما احذركم من البحث وراء الخييط الرفيع، فان كل من تتكشف له نفسه ونفوس الناس يشقى بها ويهم..

فقط.. اقرأوا هذه القصة!

«أ...»

الخيط الرفيع

(١)

انه لم يكبر ابدا...
كان تلميذا في السعيدية.. ثم طالبا في كلية
الحقوق.. ثم ملحقا في مفوضية مصر
بسويسرا.. ثم استاذا ودكتورا في القانون..

ورغم ذلك فهو لم يكبر..
لقد كبرت الاعوام.. وتضاعف عدد الكتب التي قراها آلاف
المرات.. وارتفعت به المناصب.. وازدهم من حوله الاصدقاء..
ولكنه لم يتغير..
لم يتغير في شكله..

ولم تتغير نظرتة الى الحياة..
انه لا يزال يبدو كما كان تلميذا في المدرسة السعيدية..
نفس الرأس الكبير، والوجه النحيل ذي الجلد الاصفر
المشدد.. ونفس الشفتين الرقيقتين الباهتتين، والعينين
الواسعتين اللتين تبرقان في ومضات خاطفة خلف نظارته
السميكة.. ونفس القامة القصيرة الضئيلة، واليدين الصغيرتين
الناعمتين كأنهما كفا فتاة، لم تسر فيهما بعد حرارة الشباب..

الخيط الرفيع

ولو انه وقف امام المرأة لرأى وقفة الزمن به منذ ان كان فى السادسة عشرة من عمره.. بل لرأى ان طراز نظارته لم يتغير منذ ذلك العمر، وان الشعيرات الصفراء الهزيلة المتناثرة التى ثبتت على صفحة وجهه لم تكف لتمنحه مظهر الرجل فى الثلاثين من عمره..

ولكنه لم ينظر ابدا الى المرأة..

كان يقف قبالتها ليمشط شعره، أو ليربط رباط عنقه، ولكنه لم ينظر إليها بعينين واعيتين.. ولم يكن فى حاجة الى النظر إليها.. لم يكن فى حاجة الى ان يرى وجهه وقامته، الا بقدر حاجته الى الوقوف امام المصور مرة أو مرتين فى العمر لينقط له صورة فوتوغرافية كلما اضطره عمله الى استخراج بطاقة رسمية أو جواز سفر.

لم يكن شكله ومظهره يهمانه فى شىء..

ولم يكن شكله ومظهره يهمان الناس فى شىء..

ثم انه لم يكن منفر الشكل أو المظهر، كان وجهه من هذا النوع الهادئ الذى ترتاح إليه، كوجه مريض فى دور النقاهة اضى على الضعف نوعا من السكينة والاستسلام والايمان، وكان مظهره العام يوحي اليك بالثقة والاطمئنان، هذا الصنف من الناس الذى تقبل على استصحابه الى بيتك ورفع التكليف بينك وبينه دون ان تخشى منه على زوجتك أو شقيقتك.. أو تقبل على الاقضاء إليه باسرارك وتروى له مغامراتك النسائية دون ان تخشى منه ان يفسد احدى مغامراتك، وكأنه اضعف من ان يقف لك ندا، واضعف من ان يكون رجلا كاملا فى معركة الحياة.. كل ما كان يهمه ويهم الناس هو علمه.

الخيوط الرفيع

وقد قضى عمره كله يستوعب هذا العلم ويحشو به رأسه،
ومنذ ان وقع فى يده أول كتاب وهو لم يرفع عينيه عن الكتب.
وكان الأول دائما بين اقرانه، ولكنه لم يكتف ابدأ بمقررات
الدراسة.. كان وهو فى المدرسة السعيدية يقرأ مقررات
الحقوق، وكان وهو فى الحقوق يقرأ مقررات الدكتوراه.. كتب..
عشرات من الكتب..

وكانت قراءته كلها علمية جافة.. لم يقرأ ابدأ قصة، أو
ديوانا من الشعر، غاية ما كان يصل إليه عندما يريد ان يريح
رأسه هو ان يقرأ كتابا فى تاريخ الاقتصاد أو فى فلسفة
نيتشه!

كانت هذه هي دنياه.. دنيا مسطورة فى كتب، وكل ما هو
خارج هذه السطور لم يكن يحس به.. بل لم يكن له احساس
بالجمال.. حتى جمال الطبيعة.. كان يمر بشروق الشمس
وغروبها دون ان يحس بشروق أو غروب، وكان يمر بالريف
والحضر دون ان يحس بريف أو حضر، بل عندما سافر الى
سويسرا ورأى جمال الله فوق عروش الجبال، لم يحس
بشيء.. وربما رفع عينيه الى هذه القمم دون ان يرى فيها شيئا
الا انها حدود سياسية بين بلد وبلد، أو ظواهر طبيعية لها
اسبابها الجيولوجية!

كل ما كان يحس به من جمال، هو جمال المنطق فى كتب
القانون، أو جمال البحث فى كتب الاقتصاد!
ولم تكن فى حياته امرأة..
لم تكن له امرأة حتى فى خياله، ولم تخطر له حتى فى
أحلامه..

الخيوط الرفيع

بل انه لم ير فى حياته امرأة، كما يرى الرجل المرأة.. لقد التقى بالكثيرات منهم.. التقى بنساء فى الطريق، والتقى بشقيقات وزوجات بعض اصدقائه، وكانت الطالبات فى كلية الحقوق يسعين وراءه ليستعن بعلمه على جهلهن.. ولكنه لم ير واحدة من كل هؤلاء.. كان يعرف ان هذه هى فلانة، والاخرى هى شقيقة فلان.. ولكنك لو سألته عن لون عيني «فلانة» لما اجاب، ولو سألته عن رأيه فى قوام «علانة» لما افتى.. لم يكن اعمى، ولكنه كان ينظر اليهن بعينين غير واعيتين.. عينين لم تتعودا ان تلتقيا شيئا خارج الكتب

كان كتلة من العظام الجافة الجامدة، لا تتحرك فيه شهوة، ولا يختلج منه عصب.. حتى الشهوة الى الطعام لم تتحرك فيه، فلم يشته يوما طعاما أو شرابا، انما كان يقبل على مائدة الطعام كاقباله على مائدة معمل كيمائى لاجراء عملية كيميائية لا بد منها ان تنتهى الى عدة تفاعلات فيسيولوجية!

كان يعيش فى صحراء، رمالها من كلمات الكتب، ورغم ذلك استطاع ان ينبت ويزدهر فيها، كما ينبت نبات الصبار.. جاف خشن ولكنه يستطيع ان يعتصر الرمال ليستقطر منها حياة تكسبه اخضرارا تسرى فيه قطرات من الروح.. وعود الصبار لا يعي جفاف الصحراء ولا يحس بوحشتها!

وقد نال عود الصبار هذا احترام الجميع واطمئنانهم إليه.. كان زملاؤه - سواء وهو طالب أو بعد تخرجه - لا يشركونه فى لهوهم ومغامراتهم، ولكنهم كانوا يلجأون إليه فى عملهم ودرسهم.. وكان دائما اقرب الى الآباء منه إلى الابناء، فكان الآباء يستريحون إلى جلساته، وكان يستريح إليهم، وكانوا

الخييط الرفيع

يدعونه دائما بلقب «استاذ» حتى وهو لا يزال طالبا فى الجامعة فى الثامنة عشرة من عمره.. وربما تمناه بعضهم زوجا لابنته بعد ان تخرج، فقد كان مثالا للخلق الكريم والسيرة النظيفة، وكان مثالا للزوج كما تتصوره الطبقة الوسطى.. لا يدخن، ولا يشرب، ولا يسهر، ولا يتردد على مقهى، وكان ينتظره فوق ذلك مستقبل عريض مضمون، فان تفوقه وذكائه العلمى اشتهر، حتى اصبح اساطين القانون وكبار السياسيين يعهدون اليه ببعض ما يحتاجون من ابحاث قانونية..

ربما حاولت بعض الامهات ان يغزلن حوله شبكة الزواج فيدفعن بناتهن الى الجلوس اليه، وتحاول البنات ان يخرجنه عن حديث العلم والقانون والسياسة.. وربما تعمدت احداهن ان تضغط على يده، أو تلصق ذراعها بذراعه أو تقترب بساقها من ساقه، أو تكسو وجهه بانفاسها، أو تذيقه صنفا من الطعام طهو يديها.. الخ، ولكنه كان عن جميع هذه المحاولات فى غباء تام..

وظل كما هو.. لا تعى عيناه صورة امرأة، ولا يتحرك منه عصب..

وحدث ذات يوم..

وكان قد عاد من سويسرا منقولا الى ديوان وزارة الخارجية.

حدث ان ذهب الى بنك «باركليز» ليسوى بعض حسابه.. ووقف امام القضبان الرفيعة الصفراء ورفع عينيه فلم يجد الموظف المختص.. وقبل ان يخفض عينيه اصطدمتا بوجه آخر

الخيط الرفيع

يجلس بعيدا خلف القضبان الى مائدة صغيرة تحمل آلة
كاتبة..

وخفض عينيه..

ولكنه عاد ورفعهما بسرعة وكأنه مر بسطر من كتاب يحتاج
الى قراءته مرة اخرى!

انها فتاة.. موظفة من موظفات البنك..

وربما تعلقت عيناه بها لحظة أو لحظتين.. ولكنه لم يرها..
لم يركن شعرها، أو شكل عينيها، أو رسم شفتيها.. انما رأى
شيئا مهزوزا تبدو من خلاله صورة فتاة لا معالم لها.

كان كاعمى يفتح عينيه على النور لأول مرة!

ولم يرفع إليها عينيه مرة اخرى.. وانما ظل يغلبه احساسه
بانه رأى شيئا وان هذا الشيء هو فتاة، وانه يريد ان يراها
مرة اخرى وان يتحقق من معالمها..

وربما حاول ان يرفع عينيه.. ولكنه لم يستطع.. لم يمنعه
حياؤه أو خجله، وانما منعه احساس عجيب لا يستطيع تفسير
كنهه.. احساس دب فى كيانه كله، وروى عظامه الجافة حتى
سرت البرودة فى اطرافه، وخيل إليه انه يرتعش.. وخيل إليه ان
الناس جميعا يلمحون رعشته، وانه لو رفع عينيه مرة اخرى
الى هذه الفتاة، لتغامز الجميع عليه، وربما ضجوا بالضحك.

هل كان هذا الاحساس العنيف من اجل فتاة لم يتبين
ملامحها بعد؟!

ان احساس البشر كعدسات آلات التصوير.. بعضها يفتح
ويغلق باستمرار ليلتقط ما حوله من صور الجمال والقبح
فتتأثر به النفس.. وبعضها يفتح ويغلق بالمحاولة والحاح

الخيط الرفيع

الظروف المحيطة بالنفس.. وبعضها يظل مغلقا امدا طويلا لا تتأثر خلاله النفس بصور الحياة ولا تلتقط منها شيئا، ثم فجأة.. ويدافع غير ارادى.. وبلا سبب.. تحدث هزة نفسية نتيجة تقاعلات قديمة العهد، كما تحدث ثورة البراكين أو الهزات الارضية، وفي هذه الحالة تتفتح عدسة الاحساس من تلقاء نفسها، وتلتقط أول صورة تمر بها.. وكان احساسه من هذا النوع الاخير..

وكانت هذه الفتاة هي التي مرت بالصدفة امام العدسة فى لحظة انفتاحها فالتقطت لها هذه الصورة المهزوزة. وجاء الموظف المختص، وسوى بعض حسابه، ثم طلب إليه ان يعود فى الغد..

ولا يدري لماذا استراح عندما علم انه سيعود الى البنك غدا.

وقد خرج وكل ما فى رأسه انه سيعود غدا.. لم يفكر فى الفتاة، ولم يحاول بينه وبين نفسه ان يستعيد صورتها أو يحاول تبين ملامحها خلال الصورة المهزوزة المنطبعة فى ذاكرته.. ولكنه كان مطمئنا لانه سيعود غدا.. وكان منشراح الصدر لسبب لا يدريه..

وعاد خلال يومه وليله الى كتبه.. واخذ يقرأ بروح اقل جفافا، واخذت سطور المنطق الجامد تبتسم امامه حتى انه وجد فيها ما يدعو إلى ابتسامة خفيفة تطوف بشفتيه، وتعلق ساخر يتجاوب فى نفسه على آراء الاستاذ بيفردج، صاحب النظريات الاقتصادية المعروفة!

وكان يرفع رأسه بين الحين والحين من بين صفحات

الخيوط الرفيع

الكتاب، ليذكر ان حسابه فى البنك لم يسرّ بعد، وان عليه ان يعود غدا..

ولم يكن حسابه يستحق كل هذا الاهتمام، فهو لم يشغل باله قط بأمر ثروته التى لم تتجاوز قط حدود مرتبه الحكومى، ولم تكن عودته إلى البنك تستحق ان تشغل وقتا من تفكيره، وهو الذى قضى حياته كلها وليس له فكر الا فيما يقرأه ويعده من ابحاث.

ولكنه لم يحاول ان يفسر سر هذا الاهتمام.. وانما ترك نفسه منساقا وراء نشوة هادئة تبعثها فكرة عودته إلى البنك غدا.

وقد عاد..

ووقف امام الموظف المختص.. ولأول مرة لم يستطع ان يفهم شيئا مما يقوله الموظف عما تستلزمه اجراءات تحويل النقود من سويسرا إلى مصر.. بل انه لم يسمع ما يقول الموظف.. فقد كانت اذناه منصرفت إلى صوت الآلة الكاتبة التى تدق خلف القضبان الرفيعة الصفراء.. وكانت عيناه ترتجفان خلف نظارته السمكية تحاولان ان ترتفعا للتظنن، فتشدهما رهبة لا يدري لها سببا.

وكما يتسلل الطفل بيده إلى صندوق الكعك وهو يعتقد انه يرتكب اثما كبيرا يحتاج إلى جرأة وإلى مقاومة النفس الهيابة.. اخذ يقاوم نفسه وهو يتسلل بعينه حتى استطاع ان يرفعهما ويبحث بهما وراء القضبان.

ولحها فى لحظة خاطفة..

وعاد يخفض عينيه فى سرعة، وكأنه خاف ان يضبطه

الخيط الرفيع

الموظف الواقف امامه فينادى البوليس!
وفى هذه اللحظة استطاع ان يتبين بعض ملامحها.
عرف انها سمراء!

وعاد إلى البنك مرة ثالثة.. وعرف فى لحظة اخرى ان
شعرها كالليل الحزين تتدلى منه خصلة فوق عينيها كمنديل
انيق اسود يسمح عنهما الدموع.

وعاد مرة رابعة.. وعرف ان عينيها فى لون العسل، وانهما
عينان عصبيتان لا تستقران من تحت أهدابهما الطويلة.. وأن
شفتها السفلى اغلظ قليلا من شفتها العليا، وان كلا منهما
تحضن الاخرى لترسما فما هادئا، فى هدوءه كبر وانفه
وازدياء الدنيا.. وعرف انها لا تبسم، ولا تتشاغل عن عملها،
ولا تجامل احدا من زملائها الموظفين وان على وجهها دائما
سحابة من التفكير العميق، وربما كان فى حياتها شئ تتألم
من اجله.

وعاد مرة اخرى.. واخرى..
وعندما سوّى حسابه، بدأ يخلق الاسباب ليعود.. كان
يعود ليسحب بعض النقود، ثم يعود ليودع نفس النقود، ثم
يعود مرة ثالثة ليسحبها مرة اخرى..

وكانت عيناه قد تعودتا التسلل إليها.. تعود الطفل ان يمد
يده إلى صندوق الكعك دون ان يخشى رقبيا. فكان يبحث عنها
بعينيّه بمجرد ان يتخطى الباب الخارجى، ثم يقف امام
القضبان الرفيعة الصفراء ويرفع هاتين العينين إليها فى
لمحات خاطفة وفى فترات متباعدة.

وكان قد عرف خلال هذه الفترة انه يعود من اجلها.. ولكنه

الخيوط الرفيع

لم يدر لماذا يعود.. لم يستطع ان يصارح نفسه بانه يحبها او انه يريدھا.. كل ما كان يعرفه انه يريد ان يعود ليراها ويشبع شهوة عنيقة تنحصر فى عينيه، ولا تتعدى عينيه ابدا!

وتبدلت حياته..

أصبحت الصفحات تمر امام عينيه فى ببطء شديد.. وكانت السطور يختلط بعضها فى بعض احيانا لترسم هذا الوجه الاسمر كلون اعواد القمح قبل الحصاد، وترسم هذا الليل الحزين الذى تتدلى منه خصلة كمنديل اسود انيق، وهذا الفم الهادئ المتكبر الذى يزدري الدنيا.

وتفتح احساسه بالجمال.. بدأ يحس بالريف والحضر، والشروق والغروب، ويلتقط فى طريقه مناظر الناس فى سعيهم وفى لهوهم.. وبدأ يرى وجوه الفتيات اللاتى التقى بهن من قبل ولم يلتقط صورهن.. بنات الجيران وشقيقات وزوجات الاصدقاء.. ولكن لم تعلق منهن فى ذهنه الا صورة واحدة.. صورة الفتاة السمراء التى تجلس إلى الآلة الكاتبة خلف القضبان الرفيعة الصفراء فى بنك باركليز.

ولم يكن قد جرى بينه وبينها شئ سوى هذه اللمحات الخاطفة التى ترتفع بها عيناه.

كل ما حدث انه ذهب يوما فلم يجد الموظف المختص فى مكانه، فوقف فى انتظاره - وربما حمد الله لغيابه - وطال انتظاره وهو لا يزال يعلق عينيه بها.. وفجأة رفعت عينها إليه وأبتسمت ابتسامة خفيفة ثم قامت نحوه وحيته بالفرنسية:

بونجور بروفيسور!

وتناولت منه «الشيك» وهو يدفعه إليها بيد مرتعشة دون ان

الخيط الرقيق

تتحرك شفتاه ليرد التحية، وذهبت به الى الموظف ليتولى امره.
وقد ارتجف يومها ساعة ان تقدمت إليه، واشتد اصفرار
جلده المشدود فوق عظام وجهه، واضطربت جفونه خلف زجاج
نظارته.. وخيل إليه انها جاءت تؤنبه لوقاحته وتجرئه عليها
بنظراته..

وعندما سمعها تحييه وتتناول منه «الشيك» دبّت في صدره
نشوة عقدت لسانه وخيل إليه انها المرة الأولى التي يسمع فيها
صوت امرأة، وانه لم يصبح «بروفسور» الا عندما نادته بهذا
اللقب!

وخرج من البنك وهو يكاد يطير غرورا.

انها تعرفه..

وتعرف انه «بروفسور»..

انه يريد ان يضحك..

بل ان خطواته تكاد تكون رقصا..

ولم يدر بخلده ان تردده على البنك لهذه الاسباب التافهة
التي يختلقها قد جعله معروفا لدى جميع الموظفين، وان اسمه
ربما كان قد مر عليها وهي تعيد تسجيل حساباته على الآلة
الكاتبة..

لم يدر بخليبه شيء من هذا.. كل ما كان يعنيه انها تعرفه..
ولابد انها تعرف اسمه، مادامت تعرف انه «بروفسور».. وكان
سعيدا.. سعيدا الى حد انه بدأ يمل حديث القانون والسياسة،
وبدأ يمل صحبة الآباء ويسعى إلى صحبة الابناء ويشجعهم
على احاديث الحب ومغامرات الشباب.

الخيوط الرفيع

لقد اكتشف أخيراً انه شاب، وأنه فى السابعة والعشرين من عمره، وأنه يحب الموسيقى ويستطيع ان يقرأ كتاباً فى الفن، وأن يقرأ المجلات الاسبوعية، ويتسائل من هى هذه التى يكتب عنها فى صفحة السينما..

واستقبل اصدقائه الشبان هذا التبدل منه فى حرص وشك كبير.. ولم يصدقوا انه يستطيع ان يكون واحدا منهم.. له مثل مغامراتهم ويلهو مثل لهوهم.. فكانوا يقتصدون امامه فى احاديث النساء، وكانوا ينتقون وهو بينهم فكاهات اقل ابتذالا مما تعودوا ان يتبادلوه بين بعضهم وبعض..

وهو من جانبه لم يرو شيئا عن مغامراته الكبرى.. ولم يلمح اليها بكلمة.. كان يحتفظ بها فى صدره ككنز الخيل..

وذهب يوماً..

واطل بعينه خلف القضبان الرفيعة الصفراء.. فلم يرها وانتظر فترة فلم تعد..

وعاد فى اليوم التالى.. ولم تكن هناك..

وعاد فى اليوم الثالث.. فوجد فتاة اخرى مكانها..

واضطربت ايامه ولياليه.. واختفت ابتسامته، وكره صحبة الآباء والابناء، وبدأ يغيب الساعات الطوال وراء خيال لا نهاية له.. اين هى؟ ماذا جرى لها؟ هل هى مريضة؟ هل تزوجت؟

وكانت صورتها المنطبعة فى ذهنه قبل ان تختفى من ايامه، محدودة بهذا الوجه الاسمر الحزين الذى يراه فوق الآلة الكاتبة.. ولكنها بعد ان اختفت انطلق خياله وراء هذه الصورة، وبدأ فى الليالى الطويلة المسهدة التى تمر به يلمح عنقها، ثم يبحث عن نهديها، ثم يقيس بعين الوهم خصرها، ثم ينزل

الخيوط الرفيع

أحيانا حتى يصل إلى ساقها.
وبدأ يراها فى اضطرابه العصبى ضاحكة عابثة.. وبدأ
يراهها مستلقية بين ذراعيه.. وبدأ يسمعها باذن اليأس تهمس
وتناديه وتناجيه.. وبدأ خلال هذه الفترات التى تنتابه يحس
بشيء يتحرك فوق عظامه.. يحس ان له خلايا تنتفض ودما
يفور..

انه لم يعد يريد لها ليرفع إليها عينيه فى شبه عبادة..
بل أصبح يريد لها امرأة.. امرأة تثور من اجلها اعصابه
حتى تمزق الثورة عنها الثوب..
وكاد خياله المريض يقتله..

كان اذا ما وضع كفه على زجاج مكتبه وتحسس صفحته
المساء خيل إليه أنه يتحسس كتفها أو قطعة من لحمها.. ثم
يستبد به الخيال حتى تتجسم امامه شفاتها، ويحس بهما
تقتربان منه بينما الشفة السفلى ترتعش فى نداء حبيب، فيميل
إليها.. ويظل يميل حتى يقع بشفتيه فوق زجاج المكتب البارد
ويغيب فوقه فى وهم من القبل.

ويستبد به الخيال أكثر حتى يلهث، ويمزق اعصابه بيديه..
ثم يقع محطما باهت اللون فى شبه غيبوبة..
لقد منح نفسه لامرأة. لأول مرة فى حياته وهو فى السابعة
والعشرين من عمره..

وكانت امرأة من خيال..

ولكنه لم يكتف بخياله.. لم ييأس!

ودار تدفعه قوة من الوهم يبحث عنها..

الخيط الرفيع

كان يطوف الشوارع التجارية طول يومه، ويحمله في وجه
كل من تمر به، فاذا ما فاتته واحدة عاد إليها وحمله فيها
بوقاحة يحسد عليها..

واختار لنفسه مقهى في تقاطع الطرق يستطيع ان يستوعب
فيه بعينه أكبر عدد من الفتيات وخصوصا فتيات بنك
باركليز..

ولم يعد يقرأ..

ولم يعد يبحث..

هكذا انتهى.. إلى التسكع في الطرقات والجلوس في
المقاهي..

لقد تجمعت الدنيا كلها امامه في لحظة تلتقى فيها عيناه
بها.. لم يعد يشعر بألمه أو بيومه أو بغده.. فقط يريد ان
يراها.. نظرة واحدة.. لحظة..

الخيطة الرفيع

(٢)

لم يلحظ احد من اصدقائه هذا التبدل الذى
ألم به، أو على الاقل لم يثر بينهم اهتماما..
كان وجهه يزداد اصفرارا، ولكنهم عرفوه
دائما اصفر الوجه..

وكانت عيناه تزدادان بعدا عن الدنيا فى نظرات ساهمة
شاردة، ولكنهم عرفوه دائما بعينين ساهمتين غير واعيتين لا
تلتقطان شيئا خارج الكتب.

وربما التقى به بعضهم وهو جالس على مقهى أو متسكع
فى الشوارع التجارية، فلا يدور فى خلد واحد منهم انه فى
جلوسه وتسكعه انما يبحث عن امرأة ضاعت منه..

وربما كان كل ما لاحظوه انه ازداد نفورا منهم وابتعادا
عنهم، وان شفثيه الرقيقتين الباهتتين اصبحتا أكثر ضنا
بالكلام، سواء كان كلاما فى القانون أو كلاما خارج دائرة
القانون، ولكنهم اخذوا كل هذه المظاهر على انها من شطحات
العلماء وشذوذهم.

لم يكن احد يعلم ان هناك امرأة قد طرقت حياته..

الخيوط الرفيع

ولم يكن احد يعلم شيئا عن هذه الليالى الطويلة المسهدة
التي يمزق فيها اعصابه بيديه، حتى يقع صريعا لأوهامه
المریضة.

كان فى نظر الناس لا يزال عالما.. انسانا ليس له سوى
رأس يحشوه بسطور الكتب..

ولكنه كان قد ترك الكتب منذ ليال طويلة.. وقد حاول فى
أول الأمر ان يظل ملتصقا بها، وان يعلق عينيه بسطورها..
فكان كلما فتح كتابا ارتسم فوق صفحته الوجه الاسمر
الحزين وخصلة الشعر التى تتدلى فوق العينين كمنديل اسود
رقيق يجفف عنهما الدموع.. إلى ان يئس.. يئس من ان يتلهى
بعلمه عن خياله.. وأصبح لا يفتح كتابا الا ليرى على صفحته
صورة وهمه، ثم أصبح يرى هذه الصورة دون ان يحتاج إلى
فتح الكتاب..

ورغم ذلك فقد ظل محتفظا بثقة رؤسائه فى عمله الحكومى،
وظل محتفظا بثقة رجال «اتحاد الصناعات» الذين كانوا
يلجأون إليه ليعد لهم أبحاثهم.. وربما لاحظوا عليه انه أصبح
أقل اقبالا وتفرغا لعمله، وأقل دقة فى تحديد مواعيد تقديم
مذكراته، ولكن سمعته العلمية والمجهود الدراسى العنيف الذى
تعود ان يبذله طوال حياته، كانا يصفحان دائما عن كل اهمال
يقع منه..

واتصل به اتحاد الصناعات يوما وطلب إليه ان يعد بحثا
اقتصاديا عن شركة جديدة ينشئها الاقتصادى الكبير «عبده
بك»

ثم اتصل به عبده بك نفسه وحدد له موعدا ليجادته فى امر

الخييط الرفيع

هذه الشركة الجديدة قبل ان يعد بحثه عنها .. وكان الموعد فى ميدان السباق!

ولم يعجب ان يكون الموعد فى ميدان السباق، فقد كانت هذه هى عادة عبده بك.

كان من عادة الاقتصادى الكبير ألا يقابل العلماء إلا فى اوقات فراغه.. فهو يعلم قيمة الابحاث التى يضعونها، ويعلم انها اتفه من ان يقطع لها جزءا من اوقات عمله فى مكتبه.. انها ابحاث - مهما بذل فيها من جهد، ومهما بلغت من دقة - لا تفيده فى شىء الا نشرها فى الصحف كاعلانات يمويه بها على الناس، أو يرفقها مع مطالبه التى يبعث بها إلى الحكومة، حتى يستعين بها اصدقائه الوزراء فى استكمال الشكليات القانونية والمظهر الرسمى..

وذهب إلى نادى السباق..

وصعد الدرج المؤدى إلى «لوج» عبده بك..

كان منهكا مفككا كعادته فى الأيام الأخيرة، تكاد عظام وجهه تمزق هذا الجلد الاصفر الرقيق المشدود فوقها.

وسار فى الممر الطويل إلحاذى لصف «اللاواج» وعيناه بين قدميه، لا يريد ان يرى احدا ولا يريد ان يراه احدا.. وفجأة رفع عينيه.. وشهق.. ثم تسمرت قدماه.. انها هى..

انها هنا جالسة فى نفس «اللوج» بجانب عبده بك..

واحس ببرودة عنيفة تسرى فى اوصاله وكأنه غرق فى بحر من الثلج، واحس باطرافه ترتعش حتى اضطر ان يستند على

الخييط الرفيع

الحاجز الحديدي حتى لا يقع، واحس ان كل شيء فيه قد توقف وكأنه صعق تحت تيار كهربائي.. عقله.. قلبه.. اعصابه.. كل ذلك فقدته في لحظة، فلم يستطع ان يفكر، ولم يستطع ان يتنفس، ولم يستطع ان يحس شيئا.. بل لم يستطع ان يسائل نفسه هل يتقدم أم يعود..

تسمر في مكانه كوتد جاف تخلف عن مخيم القافلة.. ولم ينتبه الا عندما سمع بأذن غير منتبهة صوت عبده بك:
اتفضل يا استاذ!!

ونقل قدميه المرتعشتين وكأنهما قدما انسان صناعي يدار بالكهرباء..

ونظر إليه عبده بك قائلا وهو ينقل سيجاره الضخم الى الجانب الآخر من شفتيه:
ماذا بك.. هل انت مريض؟
لا.. فقط متعب..

ولم ينظر إليها، ولكنه احس بها تنظر إليه، واحس بعينيها مسلطتين عليه، بل ربما كانت ايضا تبسم هذه الابتسامة الخفيفة التي حيته بها مرة.. ولكنه لم ينظر إليها ولم يدر إليها رأسه، وظل ينظر في الفضاء الذي يشغل بعضه عبده بك، إلى ان سمع صوته مرة اخرى وهو يقدمه إليها:
الآنسة يولند..

ولم يستطع ان يرفع ذراعه من جانبه ليمد لها يده، واكتفى بان ادار لها رأسه، وانحنى بها محييا..
وسمعا تحية:

الخيوط الرفيع

بونسوار بروفيسور..

انها لا تزال تذكره..

ولا تزال تذكر انه «بروفيسور»..

وكان قد نسى فى لياليه الطويلة المسهدة انه «بروفيسور»
 نسى علمه ونسى مكانته بين العلماء، ونسى هذا المظهر الجاف
 الرزين المحترم الذى كان يتصف به.. وقد تذكر الآن.. تذكر
 انه «بروفيسور» عندما نادته بهذا اللقب.. فحاول ان يشد ظهره
 الذى قوضه الانهاك، وحاول ان يرفع رأسه الذى أذله الخيال
 المريض، وحاول ان ينفخ الروح فى جسده الهزيل الذى أصبح
 كصندوق فارغ..

وجلس بجانب عبده بك..

ثم تسلل بعينه من تحت نظارته، وهو يقاوم نفسه الهيابة،
 وحتى رفعهما إليها، فاذا به يلتقى بعينيها وهى لا تزال تنظر
 إليه.. فارتد بعينه عنها سريعا وقد احتقن وجهه واكتسى
 بحمرة لم تطف ابدا بوجنتيه الا احتقاناً..

وكانت لمحة.. لمحة واحدة خيل إليه انه عاش عمره كله فى
 انتظارها.. وقد رأى خلالها ابتسامتها الخفيفة التى تطوف
 بشفتيها كطيف عابر، ورأى عينيها القلقتين المضطربتين تحت
 اهدابها الطويلة، ورأى شعرها الاسود كالليل تطل منه فوق
 جبينها خصلة كأنها منديل اسود انيق يمسح الدموع عن
 عينيها..

انها لم تتغير..

انها هى نفسها كما كان يراها فى بنك باركليز وراء
 القضبان الرفيعة الصفراء، جالسة إلى الآلة الكاتبة..

الخيوط الرفيع

ولكن لا.. هناك شيء تغير..
 شيء لم يلمحه بعد.. ولكنه يحس به..
 وبدأ شوط السباق..
 والتفت عبده بك والفتاة الى الحلبة وفي يد كل منهما منظار
 معظم.. واحس انه أصبح الآن حرا ينظر إليها كما يشاء
 ويشرب منها بعينه حتى يروى عظامه الجافة، دون ان يخشى
 رقبيا..
 وقد نظر إليها.. وهامت عيناه تطوف بها، وتتمسح في
 وجنتيها، وترقد بين شفتيها، وتندس بين خيوط شعرها، ثم
 تقبل اناملها، وتسجد تحت قدميها..
 كانت عينين مجنونتين جائعتين استبد بهما الجوع
 والحرمان..
 واستراح قليلا، أو استراح شوقه إليها..
 ثم دار بعينه يبحث عن الشيء الذي تغير فيها..
 ان الاصباغ فوق وجهها قد ثقلت.. ربما!
 ان شعرها لم يعد فطريا كما كان، فيد الصانع تبدو في
 تصفيفه.. ربما ايضا!
 وثوبها ليس من البساطة التي تتميز بها علامات البنوك
 وهذا الخاتم الذهبي في اصبعها، هذا السوار في
 معصمها، وهذا القرط الثمين في اذنيها.. و..
 وفجأة، وفي هذه اللحظة فقط تذكر انها تجلس بجانب عبده
 بك، وفي نفس اللوج، وانهما يتحادثان كصديقين حميمين..
 واحس بوخزة في جنبه، كادت تنتزع صرخة من بين

الخيوط الرفيع

شفتيه.

والتفت الى عبده بك بعينين تبرقان غضبا.. ثم عاد يلتفت
إليها بنفس العينين الغاضبتين.

ماذا جمعهما؟

هل انتقلت من البنك لتعمل فى مكتبه؟

وهل يصحب عبده بك كل فتاة تعمل فى مكتبه إلى ميدان
السباق؟

لم لا.. انه هو شخصيا قد صحب عبده بك فى ميدان
السباق عندما بدأ يعمل له ويعد له بحثا؟

وهذه الاصباغ الثقيلة... هل هى شروط العمل فى مكتب
عبده بك؟

لم لا ايضا.. انه هو شخصيا اعتاد ان يلبس حلتة الجميلة
واعتماد اختيار رباط عنق جميل كلما ذهب لمقابلة عبده بك
وامثال عبده بك من رجال الشركات!

ولكن هذا الخاتم، وهذا السوار، وهذا القرط. ان عبده لم
يعطه خاتما ولم يمنحه ساعة - مثلا - عندما عمل معه فى
المرات السابقة..

اذن..

لقد اشتراها عبده..

اشتراها كما اشتراه.. ولكنه اشترى منه العلم والبحث.
اما هى فليس لديها علم ولا بحث.. ليس لها الا وجه
وجسد!

واحس بوخزة اخرى فى جنبه.. وكادت صرخة اخرى تفلت

الخييط الرفيع

من بين شفتيه.

هل هي من هذا النوع؟

هل تعذب كل هذه الايام والليالي من اجل فتاة تبيع نفسها
لعجوز اصلع بدين ثقیل الدم كعبده بك؟
اذن فلا امل له فيها..

لا امل حتى في ان يشتريها يوما كما اشتراها هذا الرجل،
فلا بد انها اطلعت على حسابه في البنك عندما كانت تشتغل
هناك، واطلعت على حساب عبده بك، واختارت بينهما.. بل لم
يكن امامها ما يوجب الخيار..
ولأول مرة يحس انه فقير..

لقد التقى في حياته بكثير من اصحاب الملايين، والتقى
بزملاء له من موظفي وزارة الخارجية من ابناء الثراء، ولكنه لم
يشعر بينهم ابدا بفقره، لانه لم يطمع ابدا في شيء لا تستطيع
موارده المالية ان توفره له..

لم يشعر ابدا بالفقر الا اليوم.. الا هذه الساعة.. عندما
عرف ان احلامه التي عذبتة واضنته وانهكت قواه، يستطيع
غيره ان يحققها لانه يستطيع ان يدفع ثمنها..
ولأول مرة يحس بالحق..

لقد عاش حياته كلها لا يحس بالحق على احد أو على
شيء.. كان الناس جميعهم والاشياء جميعها تقف خارج دنياه
التي بناها لنفسه من سطور الكتب.. كان هؤلاء الناس وهذه
الاشياء ابعد من ان تصل إليه أو تحرك فيه عاطفة، ولم يكن
لها قيمة في نظره الا انها مواضيع تدور حولها وحول حياتها
ابحاث العلماء امثاله..

الخييط الرفيع

ولكنه اليوم - ولأول مرة - يحس بالحق على مثل هذا الرجل
البدن الاصلع الثقيل الدم الذى يجلس قبالة..
وكان عبده بك يحدثه عن موضوع الشركة وهو لا يزال
يتابع الخيل بمنظاره المعظم.. ولم يكن يستمع له ولم يحاول ان
يستمع.. واحس انه كان غبيا سانجا عندما استمع إليه وإلى
امثاله من قبل..

ماذا يقول هذا الرجل؟

لا شيء.. عملية اخرى يثرى من ورائها..
وما نصيبه هو من هذه العملية.. لا شيء سوى بضعة
جنيهات يتناولها على استحياء وكأنه يتلقى احسانا..
وأحس بدائرة حقه تتسع.. انه لا يحقد فقط على عبده بك
بل يحقد على جميع اصحاب الشركات الذين باع لهم ابحاثه
ومذكراته الاقتصادية والقانونية.. بل انه يحقد ايضا على هذه
الابحاث والمذكرات، ويحس بشيء كالندم على هذه الليالى
الطويلة التى قضاه فى اعدادها، ويحس شيئا كأنات الضمير
بدأت تتململ فى صدره وتعصر قلبه كلما تصور انه وهب علمه
وعصارة رأسه ليزيد بهما ثروة عبده بك.. ولا شيء آخر!
وفجأة ارتفعت ضحكة ناعمة فى وجهه..
ورفع رأسه، فاصطدمت عيناه بها وقد ادارت رأسها إليه،
ووجهت منظارها المعظم الى وجهه، واستغرقت فى الضحك..
ضحكت كثيرا..

كانت فى شبه نوبة عصبية، جتى لم تستطع ان تتوقف عن
الضحك، ولم تستطع ان ترفع المنظار المعظم عن عينيها، الى
ان سقط من يدها ليكشف عن الدموع التى اثارته نوبة

الخييط الرفيع

الضحك..

وقالت فى كلمات متقطعة، وهى لم تستطع بعد ان تتمالك اعصابها، أو تتوقف عن الضحك:

أسفة.. أسفة جدا.. ان وجهك من خلف المنظار المعظم عجيب.. عجيب جدا.. أسفة مرة اخرى!

ومدت يدها ووضعها فوق يده، وكأنها تؤكد له اسفها..

ولم يشعر بيدها فوق يده.. ولم يفهم شيئا مما قالت.. ولم يفهم لماذا ضحكت كل هذا الضحك، ولماذا تعتذر له كل هذا الاعتذار.. ولم يفهم ايضا لماذا شاركها عبده بك بعض هذا الضحك وهو يحاول ان يخفى ضحكه.. لم يفهم شيئا.. وتقلصت عضلات وجهه فى خطوط ترسم الغباء والدهشة والحيرة، وانفجرت شفقاته عن معنى لا يصلح ان يكون ابتساما، ولا غضبا ولا تأهبا لبكاء..

فقط احس انه يريد ان يبتعد.. يريد ان يخرج من هنا.. يريد ان يخلو بنفسه ليتفهم كل هذه الاحاسيس الجديدة العجيبة التي تعصف به.

وقام ينصرف..

ولم يمانع عبده بك، ومد له كفه الغليظة قائلا:

سأراك قريبا..

أما يولند، فقد اراد ان يحييها مودعا باحناء رأسه، ولكنها مدت له يدها، ثم ابقت كفه فى كفها فترة، وقالت وفى صوتها رنة الاسف، وفى عينيها بطاقة اعتذار رقيقة:
هل اغضبتك؟

الخييط الرفيع

واجاب فى بله:

اغضبتنى!! لماذا؟

قالت ورنه الاسف لا تزال فى صوتها، وكفه لا تزال فى كفها، وهى تربت عليها بيدها الاخرى وكأنه طفل عزيز:

انى اعتذر

وسحب كفه من كفها، وقال:

لا شىء يوجب الاعتذار..

ثم انصرف..

وترك رأسه يسقط بين قدميه وهو يسير الى خارج ميدان السباق، وقد بدأ يحاسب نفسه.

انه يعرف الآن ان اسمها: يولند، ويعرف انها صديقة لعبده بك ويعرف ان عبده اشتراها.. اشترى وجهها وجسدها.. وانه يدللها باسم: يوللى!

ولكنها لم تكن فى هذه الساعة محور تفكيره، ولم يحاول حتى ان يستعيد فى مخيلته صورتها التى تعود ان يستعيدها فى كل لحظة من لحظات ايامه.. لقد اخذت هذه الصورة تبتعد فى رأسه شيئاً فشيئاً، لتتجسم فى مكانها صورة عبده بك.. ضخمة بشعة كريهة.

وأحس ان عبده هذا أصبح العقبة الوحيدة فى سبيل سعادته، بل احس ان هذا الرجل أصبح يقف امام عينيه كدعوة مجنونة صارخة الى الحرب.. والى الكفاح.. والى الجهاد.. والى الكره.. والى المقت.. والى الحقد.. وتعثرت خطاه وكأنه فزع من نفسه..

الخييط الرقيق

الكفاح.. الجهاد.. الحرب.. انها معان جديدة لم تثر في نفسه من قبل، ولم يحس بها في صدره، ولم تلتقطها اعصابه. انه يستطيع ان يحددك عن تاريخ كل حرب، ويستطيع ان يروي لك تفاصيل كل ثورة، واسباب كل انقلاب، وان يعد لك بحثا عن كراهية الطبقات بعضها لبعض.. ولكن كل هذا العلم لم يكن الا سطورا قرأها في الكتب وجمعها في رأسه دون ان ينزلق سطر واحد منها الى قلبه..

انه لم يفهم ما في الكتب الا انها مجرد نظريات جافة مجردة عن الاحساس ومجردة عن العاطفة.. مجرد حروف كالارقام تدل على احصاء ولكنها لا ترسب في النفس ولا تحركها.

ولكن.. لماذا يفكر في الحرب الآن..

يحارب من؟

عبده! وكيف يحاربه؟!

واخذ يقارن بين نفسه وبين عبده بك..

واحس - لأول مرة ايضا - بضالته وحقارة شأنه.. ان عبده يمتلك كل شيء.. يمتلك الثروة والجاه والنفوذ.. أما هو، فماذا يمتلك؟ لا شيء سوى سطور من العلم لم تغنه شيئا، ولم تنله الثروة ولا الجاه ولا النفوذ.. ولا يولندا

بأي حق يمتلك عبده كل هذا.. انه لم يكدح كما كدح، ولم يعصر عينية بين الكتب كما عصرها، ولم يحرم نفسه من ليلاليه وإيامه كما حرمها.. انه جاهل افاق نصاب، تاجر بعاطفته الوطنية عندما اشتغل مع الانجليز في الحرب العالمية الأولى، وتاجر بعاطفته الانسانية عندما كان يسوق العمال الى حتفهم

الخيطة الرفيع

لمد خطوط السكك الحديدية الحربية فوق جثثهم وتاجر بشرفه
عندما نصب وسرق وارتشى وتجسس، وتاجر بشرف الآخرين
عندما استطاع ان يشتري ذمم الوزراء وكبار الموظفين.

ورغم ذلك فعبيده هو القوى.. هو صاحب الثروة والجاه
والنفوذ.. وصاحب يولندا!

اما هو.. فهو الضعيف الذليل المسكين رغم علمه
والشهادات الفخمة التي حصل عليها ولقب «الدكتور» الذي
يسبق اسمه..

وكعادة الضعفاء، بدأ يتلفت بعيني خياله عن شيء يعينه
على ضعفه.

وكعادة الضعفاء ايضا، بدأ يبحث باحساسه عن ضعيف
مثله يشاركه هذا الاحساس.. فاذا به يجد شعبا كاملا من
الضعفاء!

ان كل فرد من افراد هذا الشعب ضعيف مثله، محروم
مثله، حاقد مثله، كاره مثله.. ولو اجتمع كل هؤلاء الضعفاء
لقامت الحرب وبدأ الجهاد.. الحرب على عبده بك، والجهاد
ضد عبده بك!

وتفتتح احساسه الشعبى.

وعرف لماذا لم يتدمج مع زملائه موظفى وزارة الخارجية،
ولماذا لم يتذوق يوما احاديثهم ولا تقاليدهم، ولماذا لم يصانق
واحدا من هؤلاء الثروة واصحاب الشركات، وانما كان كل ما
بينه وبينهم دائما هى صلات العمل.. ان هؤلاء جميعا ليسوا
ضعفاء مثله، وليسوا محرومين مثله. ولا يشاركونه احساسه،
فهو لا ينتمى اليهم ولا الى مجتمعهم الذى يعيشون فيه، فكان

الخيوط الرفيع

يفضل عليهم دائما صحبة كتاب.
وبدأت سطور الكتب التي يحشوها رأسه يصبح لها
معنى، بل بدأ يرى منها اسلحة يستعين بها فى الحرب التي
يدفعه حقه الى اعلانها.
«لكل حسب حاجته، ومن كل حسب قدرته».. هذا السطر
قرأه فى كتاب عن النظم الاقتصادية، وقد فهمه يوم قرأه ولكنه
لم يحس به إلى اليوم.
«من كل حسب قدرته ولكل حسب عمله».. سطر آخر قرأه
فى الكتب، ولم يصل إلى قلبه الى اليوم..
ان السطر الأول هو المبدأ الشيوعى..
والسطر الثانى هو المبدأ الاشتراكى..
فأى المبدأين يتخذه سلاحا لحربه؟
انه وهب الدولة كل قدرته، بل ما فوق قدرته، ولكن الدولة لم
تسد له حاجته، ولم تعطه حسب عمله.. لم توفر له حتى تكافؤ
الفرص بينه وبين عبده بك لتختار بينهما يولند، بل لم توفر
ليولند نفسها الحق فى ان تختار الرجل الذى تريده بل
اجبرتها على اختيار عبده بك عندما سمحت له ان يكون له هذا
المال وهذا الجاه وهذا النفوذ..
ان من حقه اذن. ان يكون اشتراكيا..
بل من حقه ان يكون شيوعيا..
ولم يفكر طويلا فى الشيوعية والاشتراكية.. انما وصل إلى
بيته وصدره يفيض بحماس عنيف، واعصابه تكاد تلتهب نارا
تسرى فى بدنه فتدفئه وتلفه فى نشوة عنيفة مجنونة.. نشوة

الخيط الرفيع

الحرب.. الحرب من أجل الضعفاء.. الحرب على القوى.
الحرب فى سبيل يولند!

وجلس إلى مكتبه وامسك بقلمه..

ولم يكتب بحثا من هذه البحوث الجافة الاحصائية.. ولم
يعد التقرير الذى طلبه منه عبده بك.. بل كان يكتب محاضرة
عن كفاح الضعفاء.. عن الشعب..

واحس لأول مرة انه لا يكتب برأسه بل بقلبه.. وانه لا يكتب
ارقاما بل يكتب حقوقا.. وان قلمه يخط كلمات لم يخطها من
قبل.. كلمات تخاطب العاطفة والعقل، لا العقل فحسب.. احس
بنفسه كاتباً وفناناً لا مجرد عالم.. واحس ان السطور التى تمر
من تحت قلمه هى صفحات حادة لعبده بك.. صفحات عنيفة
صارخة جريئة.. صفحات يصفق لها الناس، ويهتفون له من
اجلها.

واستمر يصفح عبده بك حتى ملا بالصفحات عشر
صفحات. وشعر انه استنفد فى هذه الصفحات كل طاقته
الحيوية، هذه الطاقة التى كانت تدفعه فى لياليه الطويلة
المسهدة الى البحث وراء اوهامه، وإلى رسم صورة يولند
بخياله، وإلى تجسيمها امرأة عارية تناديه حتى تنتفض خلاياه
من فوق اعصابه وتفور دماؤه، فيجن ويمزق اعصابه بيديه
حتى يقع محطما باهت اللون فى شبه غيبوبة.

لقد نام هذه الليلة دون ان يمزق اعصابه..

نام دون ان تطوف به احلامه مجسمة فى امرأة عارية، فقد
اصبحت احلامه مبدأ يكافح من اجله، ويعلن الحرب فى
سبيله.

الخيط الرفيع

نام وقد خيل إلى القزم أنه أصبح عملاقا..
 نام وقد خيل إلى هذا الوجه النحيل ذى الجلد الاصفر
 المشدود والشفقتين الباهتتين انه أصبح بطلا مغوارا..
 نام العالم وقد خيل إليه انه أصبح قائدا، أو على الأقل،
 زعيما!.. ثم...
 اتصل به سكرتير عبده بك فى اليوم التالى، وحدد له موعدا
 للقاء الاقتصادي الكبير، فى المساء.
 وكان الموعد فى صالة الرقص باحد الفنادق الكبرى لتناول
 العشاء...

هل يذهب؟

ولم لا يذهب:

سيذهب ليلقى عليه درسا، وليقدم له اعلان الحرب!
 ومد يده الى دولاب ملابسه ليخرج حلته الجديدة، ولكنه
 ردها ثانية.. لماذا يختار دائما حلته الجديدة عندما يستعد للقاء
 أصحاب الشركات.. ما هذا الضعف.. ما هذا النفاق؟!

ومد يده ثانية واخرج اقدم حلة يملكها..

واختار احقر رباط عنق فى مجموعته الصغيرة..

ثم قرر الا يحلق ذقنه، ولا يمشط شعره..

يجب ان يعرف عبده بك انه لا يستحق حتى ان يحلق له
 ذقنه أو يمشط له شعره، واذا كانت يولند تتجمل من أجله، فهو
 ليس فى حاجة الى التجمل له!

ويدخل الى الفندق الكبير وهو يدق الارض بكعب حذائه، وقد
 نفخ صدره، وتعتمد ان يطل بعينيه فى كل وجه يمر به، كأنه

الخيط الرفيع

سيد يراقب قطيعا من الغنم..
 واقترب من صالة الرقص..
 ما هذا..
 ان اقدامه تضعف فوق الارض، وصدره المنفوخ ينطوى
 شيئا فشيئا، وعينيه ترتحيان تحت نظارته السمكية..
 وحاول ان يقاوم ضعفه..
 ولكنه عندما اطل على صالة الرقص تسمر فى الارض كوتد
 جاف تخلف عن مخيم القافلة..
 انها معه ايضا..
 يولند..
 وهى فى ثوب من ثياب السهرة يكشف عن كتفها
 السمرراوين، ويكاد ينزلق عن نهديها.. كتفها اللتين كان يخل
 إليه أنه يتحسسهما كلما لمس بكفه الزجاج الموضوع فوق
 مكتبه.. ونهديها اللذين طافت بهما عينا خياله فى الليالى
 الطويلة المسهدة التى ينهك فيها اعصابه..
 انه لم يرها ابداء، حتى فى خياله، بهذا الجمال..
 هل يستطيع عبده أن يهبها كل شىء حتى هذا الجمال؟
 وارضى عينيه.. واحس بقلبه يكاد يحطم ضلوعه، واحس
 باطرافه ترتعش وكأنه غرق فى بحر من الثلج.. واحس بساقيه
 تتخليان عنه حتى اضطر ان يستند إلى احدى الموائد كى لا
 يقع.. وسمع عبده يناديه بصوت لا يخلو من لهجة الأمر، ولا
 يخلو من سخرية:
 اتفضل يا استاذ!

الخيطة الرفيع

وتفضل الاستاذ، وهو ينقل ساقيه كأنه انسان صناعى يدار
بالكهرباء، وجلس بعد ان مد اليهما يدا باردة يصافحهما بها..
جلس صامتا.. لم يعلن الحرب.. ولم يطالب بحقوق
الشعب.. بل لم يطالب بحقه فى لقب «دكتور» وهو يرى الرجل
يصر على ان يناديه بلقب «استاذ».
جلس وبجانبه امرأة لا يستطيع ان يرفع عينيه إليها..
امرأة كتب عليه حبها..
وكتب عليها ان تهب له العمر كله..

الخيطة الرفيع

(٣)

ما هذا الضعف الذى يتتابه؟
لقد كان قويا منذ لحظات.. كان يدق الارض
بقدميه وهو يسير منفوخ الصدر، يطل على
الناس بعينين نافذتين وكأنه سيد يسير بين

قطيع من الغنم، وكان قد قضى ليلة بأكملها وهو يصنع عبده
بك بقلمه فى المحاضرة التى اعدّها عن حقوق الضعفاء..
حقوق الشعب..

ماذا جرى له؟ ما له يتهاوى!
لماذا لا يستطيع ان يرفع عينيه الى عبده بك ليصفعه بهما،
كما كان يصفعه بقلمه فى الليلة السابقة؟
هل يخشاه الى هذا الحد.. هل تذوب شخصيته امامه حتى
يصبح هكذا لا شىء سوى كومة من العظام الجافة ملقاة فوق
مقعد؟

اين الحرب التى قرر ان يعلنها عليه وعلى امثاله من
اصحاب الشركات.. اين بروقها.. اين رعوها.. اين - على
الاقل - مقدماتها؟

الخيط الرفيع

أم هل يخشاها هي؟
يخشى هذا الجمال الذى يبهر انفاسه.. ويخشى هذه
الخصلة من الشعر الاسود التى تتدلى فوق عينيها كمنديل
اسود يمسح عنهما الدموع، والتى يضل بين خيوطها فى عالم
مبهم لا نهاية له ولا بداية ولا حدود؟!

أم هل يخشى نفسه؟
يخشى هذه اللهفة عليها، ويخشى هذا الحنين اليها،
ويخشى هذه الليالى المسهدة الطويلة التى تتركه فيها لاحلامه
واوهامه، ويخشى خلاياه التى تنتفض، ودماءه التى تفور،
واصابه التى تشننج وهى تمتد لتمزق اعصابه.

ورفع عبده بك الكأس عن شفقيه الغليظتين، وقال وهو يمد
ذراعه ليلتقط عودا من «الكرفس» يخفف به مرارة الكأس:
والآن يا استاذ.. لنحدث عن الشركة..

ورفع جفنيه عن عينيه وكأنه يقاوم بهما كابوسا شديدا إلى
الارض بسلاسل غليظة من الحديد..

وقبل ان يتكلم عبده بك سمعها تقول فى صوت كأنه حفيف
ملاك رحيم:

يبدو ان الاستاذ ليس سعيدا هذه الليلة!
والتفت إليها وواجهها بعينين لا يدرى كيف استطاع ان
يعلق بهما نظرة ساخرة:

وانت؟ هل انت سعيدة؟!

وصمتت.. وكأن الدنيا كلها قد صمتت معها.. ثم مرت بين
عينيها سحابة قاتمة ازاحتها بضحكة كبيرة عالية لها رنين

الخيط الرفيع

كرنين قطعة نقود مزيفة، وقالت له وهى تميل بكتفها على صدر عبده بك:

يا صديقى.. حاول ان تنسى..

قال وكأنه يخاطب نفسه:

انسى كل هذا الشقاء؟

قالت وهى تداعب بكفها الرأس الاصلع الكبير الموضوع

فوق كتفى عبده بك:

لا.. حاول ان تنسى السعادة؟

وانقطع ما بينهما من حديث..

وكان أول حديث بينهما..

وبدأ عبده بك بين رشقات كأسه وقضبات اعواد «الكرفس»

التي يلوكها بين أسنانه فى صوت كرية كصوت حجر

الطاحون.. يتحدث عن الشركة الجديدة.. ثم طغى به الكأس

فسكت عن الشركة ومد ذراعه الضخمة واحاط بها خصر

يولند وجذبها اليه..

ومالت عليه ريثما داعبته بكلمة ضحك لها حتى رقص

«كرشه». فوق صدره، وارتخت ذراعه عن خصرها فاطلقها..

وقام صاحبنا..

وقام الاستاذ منصرفا..

ولم يعلق احد منهما على قيامه أو يحاول ان يبقيه، واكتفيا

بأن ودعاه بتحية حاول كل منهما ان يضمناها احترامه وتقديره

للعلم والعلماء..

ولم يفكر هذه الليلة فى اعلان الحرب على عبده بك

الخيوط الرفيع

وامثاله..

لم يفكر فى الشيوعية والاشتراكية ليتخذ منهما سلاحا فى حربه.

لم يفكر فى الضعفاء امثاله الذين لو اجتمعوا لبدأ الجهاد، ولقضى على عبده وخلصت له يولند..

كان كل ما فى رأسه صورة واحدة..

صورة عبده بكرشه وصلعته، وذراعه الضخمة تحيط خصر يولند.. واتسعت هذه الصورة فى خياله.. فرأى عبده يسقط بشفتيه المخمورتين فوق كتفيتها العاريتين، ورأى كفه الغليظة تمتد لتندس بين طيات شعرها، ثم تنزلق لتتحسس عنقها، بينما الشفتان المخمورتان قد استبد بهما طيش العجوز المتهاك فدارتا بلا وعى تلحقان اللحم.. لحم القتل!

وخيل إليه انها تستغيث.. ثم خيل إليه انها مستسلمة ضاحكة عابثة تفيق المخمور العجوز بخمرها، وتطفئ ناره بنارها..

وخيل إليه انه يمد ذراعه لينقذها ثم خيل إليه انه يمد ذراعه ليصفعها وخيل إليه انه يرفع فى كفه سكيناً حادة ضخمة ليغمدها فى صدر الرجل العجوز، ثم خيل إليه انه اغمد السكين فى صدرها..

وامتلا رأسه بالطنين.. طنين مؤلم قاس.. فدار يخطب الجدران بقبضته وفى صدره صرخة مكبوتة تمرق حلقة.. ثم احس باعصابه ترتعش وتنقبض وكأنها تتجمع لتقذف روحه، ثم اذا بألم حاد يتجمع فى عينيه، واذا بالألم يسيل على وجنتيه

الخييط الرقيق

دموعا ينوء بثقلها فينكفىء على الارض يبكى..
ورغم ذلك فقد عاد..

عاد فى اليوم التالى، والذى يليه..

عاد الى مقابلة عبده بك والتردد معه على القناديق الكبرى
واندية السباق حتى أصبح ذيلا من ذبوله.. ولم يكن عبده بك
يमानع فى ان يكون له ذيل من العلماء..

وكان عبده يطمئن إليه يطمئن الى خجله الدائم، ويطمئن الى
صمته، ويطمئن إلى ضعفه، ويطمئن الى وجهه الاصفر..
يطمئن إليه، أو على الاصح لا يخشاه ولا يحسب له حسابا..

وكانت يولند ترى فيه شيئا محترما يوضع بجانبها حتى
يخفف عنها وقاحة ظهورها مع عبده فى المجتمعات.. كانت هى
الاخرى لا تحس به ولا تحسب حسابه ولا يثير فيها الا هذه
الشفقة التى تطوف بقلبها كلما لمحت هذا الشقاء والضعف
الذى يظلل وجهه بهذه السحابة الصفراء..

وقد رضى منهما بذلك..

كان يجلس صامتا.. لا يتكلم الا اذا دفع الى الكلام، ولا
يبدو عليه تأثر بما يدور حوله أو اهتمام، ولا يطلق للنار التى
تحرق جوفه سبيلا لتلطيفها..

وقدمت له ذات يوم كأسا من الخمر..

قال:

شكرا.. انى لا اشرب..

قالت:

لا تشربها.. ولكن دعها تشربك!

الخييط الرفيع

قال:

قد تعافنى كما عافتها نفسى!

قالت:

ان الخمر لا تعافى الا السعداء!

وتركت الكأس امامه، وعادت تلتفت إلى عبده بك..

ونظر طويلا الى الكأس..

لماذا لا يدعها تشربه.. لماذا لا يغرق نفسه فيها.. ربما كان

فيها الخلاص والراحة الكبرى..

ومد اصابع مترددة اليها.. الى الكأس.. وكأنها قطعة من

الجمر يخشى ان تحرقه.. ثم نظر حوله وكأن الدنيا كلها تراقبه

وتحذره، ثم نظر امامه فاذا به يلتقى بوجه عبده وهو يجذب

يولند الى صدره، واذا باصابعه تقبض على الكأس ثم ترفعها

وتقذف بها فى جوفه، وكأنها تقذف بالسم فى جوف منتحر..

واحس بغصة..

واحس بقطرات من الخمر تقف فى حلقه مترددة وكأنها

تستغفر الله قبل ان تلوث الجوف الطاهر..

ثم اذا به يشهق وينتابه سعال عنيف يكاد يقتلع ضلوعه..

واذا بعبده يضحك ويغرق فى الضحك ويولند تضحك ثم

تضرب بكفها فوق ظهره لتريحه من شهيقه..

وهدأت انفاسه بعد قليل..

وملأت يولند كأسا اخرى وقدمتها إليه:

دع هذه تشريك فى بطن..

قال وهو ينظر إليها متحديا وكأنه قرر نهايته:

الخيط الرفيع

ان الكأس ملول لا تنتظر..

وشرب الكأس الثانية..

والثالثة..

والرابعة..

وتقلصت عضلات وجهه فرسمت حول شفثيه ابتسامة بلهاء

لا معنى لها..

ثم انفجر ضاحكا.. واخذ فى الضحك.. ضحكا عرييدا لا
معالم له.. وضحكا معه أو ضحكا عليه.. وانتشى عبده بك وهو
يرى العالم الشاب الجليل مخمورا، فأخذ يقهقه وهو يضرب
الارض بقدميه والمائدة بقبضتيه.. بينما يولند تحاول ان تخفف
عن الشاب المسكين حتى لا تقتله نوبة الضحك..

وفجأة ايضا، كف عن الضحك..

واخذ ينقل عينيه بينهما مرة ثانية وهما لا يزالان
يضحكان.. ثم وقف.. ودون ان يصافحهما، خرج وهو يسير
مترنحا يكاد يقلب المقاعد فى طريقه..

كان يحس بنفسه ولكنه لا يستطيع ان يسيطر عليها..

كان كل شىء فيه مخمورا الا رأسه..

كان يعلم انه يترنح وانه يتخبط بين هذا الجدار وهذا
الجدار، ولكنه لا يستطيع ان يصلب عوده أو ان يزن خطواته..
وكان يعلم ان شفثيه مخدرتان وانه يتحدث بهما فى الهواء
فيقول كلاما عجيبا، وانه احيانا يغنى، وحيانا يسب ويلعن،
واحيانا يقبل بهما عامودا من اعمدة النور، ولكنه لم يكن
يستطيع ان يشد اعصاب هاتين الشفتين ليوقفهما عن الكلام

الخييط الرفيع

العجيب، أو عن الغناء، أو عن السب واللعن، أو عن تقبيل
اعمدة النور..

كان يعلم انه يهوى.. ويهوى بسرعة.. ولكنه لم يكن يستطيع
الا ان يترك نفسه للهاوية..

وعندمالقى بنفسه على سريره دون ان يبدل ملابسه،
احس بالجدران من حوله تنطبق عليه حتى تكاد تكتم أنفاسه
ثم تنفجر عنه لتتركه معلقا فى فضاء لا قرار له، ثم تدور به
كأنه فى يد شيطان مجنون يطوحه فى الهواء ليلهو به..
واحس بمطارق ثقيلة تهوى على رأسه ذى الجلد المشدود
والشفقتين الباهتتين وسكاكين حادة تمزق امعاءه.. احس بالأم
يكاد يقتله، فصرخ يتأوه فى صوت ضعيف:

يارب.. رحمتك!

واذا ببقايا الخمر تثور فى جوفه، ثم تنطلق من فيه.. واذا به
يغفو فى شبه اغماء، وجسده ملقى فوق سريره فى مستنقع
نتن من بقايا امعاءه.

ومرت الايام..

وفقد ارادته الا فى لحظات متباعدة كان يحاسب نفسه فيها
ويتخذ قرارا لانقاذها لا يلبث ان يتناساه بمجرد ان يخرج الى
الشارع..

انه لا يزال ذيلا من ذيول عبده بك ولا يزال يجرى وراء
شهوة عينيه لرؤية يولند، ولا يزال يشرب كل ليلة ليعود مخمورا
يطلب رحمة الله لينقذه من المطارق التى تهوى على رأسه
والسكاكين التى تمزق امعاءه..

الخيطة الرفيع

وعرف يوما انها ذاهبة الى النادي الارستقراطي الكبير لتلعب التنس، فتسلل من مكتبه فى الوزارة ليذهب وراءها، فهو يستطيع ان يدخل الى هذا النادي، وزملاؤه موظفو وزارة الخارجية كلهم اعضاء فيه، وسبق ان دعوه إليه..

وكان يعتقد انه يرتكب جرما كبيرا عندما يخالف القوانين واللوائح ويخالف واجبه وضميره ويترك مكتبه فى ساعات العمل ليجرى وراء امرأة تشتتها عينا.. كان يعتقد ذلك.. ولكنه عندما دخل النادي رأى الوزارة كلها مستلقية فى الشمس تشرب كؤوس «الابريتييف» وتبلىق فى سيقان لاعبات التنس..

وحياه زملاؤه ودعوه اليهم، وقد دهشوا وهم يرونه فى هذا النادي، وفى ساعات العمل الحكومى ايضا..

وجلس بينهم وقد احس انه كان مغفلا كبيرا.. كان مغفلا عندما اذاب نور عينيه وقطع انفاسه فى مراجعة دوسيهات الحكومة واعداد البحوث لها، بينما الحكومة كلها تلهو فى هذا النادي الكبير..

ثم اخذ ينقل عينيه بين وجه عبده بك..

لماذا لم يخلقه الله واحدا مثل هؤلاء الزملاء؟ واذا كان قد خلقه شيئا آخر فلماذا لم يميزه عنهم بشئ؟ انه لم يميزه حتى بالترقية الى درجة اعلى، فهم دائما اسبق منه الى الدرجات والترقيات!

ودار بعينه بين بقية اعضاء النادي:
هذا الشاب المقتول العضل الذى يقضى يومه يلعب التنس،

الخيطة الرقيق

ثم يجلس الساعات يلعب الشطرنج حتى لا يفسى ان له عقلا..
وهذا الشاب الذى يعيش عائلة على مال زوجته، ورغم ذلك
فأكثر من امرأة تتمنى ان تتزوجه..

وهذا الآخر الذى تخصص فى رقصة السمبا وفى تنظيم
الحفلات المسلية لاصدقائه.. ان السمبا وتنظيم الحفلات جعل
منه شخصية تكتب عنها الصحف، ولو انه تخصص فى
القانون أو فى الاقتصاد لما ذكرته الصحف بشيء..
وهذا.. وهذا..

عالم غريب منحل ترتع فيه اللذات، التى يسميها افراد
الطبقة الوسطى: فضائح!
لذات لم يكن له منها نصيب، لانه كان مغفلا كبيرا عندما
اذاب نور عينيه وقطع انفاسه فى حشو رأسه بسطور الكتب.
ولحها..

كانت تسير على ساقين عاريتين كأعمدة النور، ومضرب
الكرة يهتز فى يدها كأنها تهش به على القلوب التى تلاحقها،
بينما نهذاها الثائران من تحت قميصها الرقيق يكادان يسبقان
خطواتها..

وكان فى ذراعها شاب..
شاب متسق العضلات وسيم الوجه حلو اللفات، كأنه من
سلالة آلهة الأولمب..

وكانت تميل عليه حتى تكاد تنطبع فوق صدره.. وكانت
تحادثه وشفتاها تكادان تقفزان الى شفتيه. وكانت ترفع اليه
عينيه وكأنها تستجديه وكأنها لا تصدق امانيه..

الخييط الرفيع

وركز عينيه على هذا الشاب..
وتوقف كل شيء فيه.. عقله.. قلبه.. حتى وجوده لم يعد
يحس به..

ثم جمع ساقية وقام بهما.. وخرج من النادي متجها الى
بيته.. وهناك وجد نفسه واقفا امام المرأة.. ولأول مرة يرى
نفسه..

لقد وقف امام المرأة من قبل ليمشط شعره أو يربط رباط
عنقه، ولكنه لم ينظر إليها ابدا بعينين واعيتين.. ولم يكن في
حاجة الى النظر اليها الا بقدر حاجته الى الوقوف امام
المصور مرة أو مرتين في العمر ليلتقط له صورة فوتغرافية
كلما اضطره عمله الى استخراج بطاقة رسمية أو جواز سفر..
ولكنه اليوم تفتحت عيناه عن شكله.. رأى هذا الرأس
الكبير، والوجه النحيل ذا الجلد الاصفر المشدود فوق عظام
بارزة رقيقة، ورأى هاتين الشفتين الباهتتين، ورأى هاتين
العينين الواسعتين وراء زجاج نظارته السمكية، ورأى قامته
القصيرة وذراعيه الطويلتين في غير اتساق، وكفيه الهزيلتين
ككفي فتاة لم تدب فيها بعد حرارة الشباب، ورأى ان شعيرات
ذقنه لم تنبت كثيفة قوية لتضفي عليه مظاهر الرجال..

رأى كل ذلك بينما تطوف به صورة الشاب المتسق
العضلات الوسيم الوجه الذي كانت يولند تتعلق بذراعه..

ثم وجد نفسه يتحسس عضلات ذراعيه فلا يجد الا عظاما،
ويخلع قميصه ليكشف عن صدره فيرى ضلوعا بارزة يستطيع
ان يعدها واحدا واحدا كأنها اعواد من الجريد تكون قفصا

الخييط الرفيع

باليا من اقفاص الفراخ..
اين كان تائها عن نفسه طوال هذه السنين؟
وكيف يطمع فى امرأة وهو قزم مسخ تعاف حتى امه ان
تضمه الى صدرها؟
كيف يفرض هذا القبح كله على امرأة، وكيف يقاوم مثل
هذا الشاب القوى والرجولة الكاملة الوسيمة التى تعلقت بها
يولندا؟..
هل يعلن الحرب ايضا على هذا الشاب كما حاول ان
يعلنها على عبده بك؟..
لقد اعتقد يوما ان ثروة عبده بك هى الحائل الوحيد بينه
وبين المرأة التى يريدھا، ولولا هذه الثروة لاختارته هو دونہ،
وظن يوما انه يستطيع ان يقضى على هذه الثروة لو اعتنق
الشيوعية أو الاشتراكية واتخذ من مبادئها اسلحة يضعها فى
يد الضعفاء امثاله ليعلنوا بها الحرب..
ولكن هل يستطيع بالشيوعية والاشتراكية ان يحارب هذا
الشاب المتسق العضلات الوسيم الوجه؟
هل تستطيع جميع المبادئ التى قرأها فى الكتب ان تجعل
منه رجلا تشتهيہ امرأة..
وانتابته ثورة مجنونة.. ثورة على كل شىء.. على الارض
وعلى السماء وعلى القدر..
ثم صمت كل شىء الا انفاسه المتلاحقة من بين قطرات
العرق البارد التى تنقصد من وجهه الاصفر النحيل..
وتخبط مذهولا يسعى إلى الشارع..

الخيوط الرفيع

وقادته قدماه الى الفندق الكبير وجلس الى البار يعب
الخمير.

وشرب كثيرا.. وكانت شفثاه تتحركان فى كلمات ليس لها
معنى، ثم بدأ يبتسم، واتسعت ابتسامته حتى اصبحت ضحكة
كبيرة.. ثم قهقهة عالية..

وانحنى يريد الخروج، فالتقى بها تدخل وهى فى ذراع
عبدك.. فتوقف قليلا، ومر بين عينيه شىء كوخز الابرء.. ثم
خطا خطوة وتصدى لهما وقهقه فى وجهيهما قهقه جوفاء..
وصرخ ساخرا.. يارب! وارتاعت يولند..
وتأفف عبده بك..

ثم نحياء عن طريقهما، واتجها إلى مائدتهما..
وهز كتفيه واطلق قهقهة اخرى جوفاء.. وخرج الى الطريق
يترنح، ويلقى كلاما فى الهواء لا معنى له..

ومرت سيارة يقودها الشيطان فالقت به على الارض..
ورقد فى الطين هادئا، بلا وعى، وعلى شفثيه آثار القهقهة
الجوفاء، وقد هدأت حتى أصبحت اقرب الى الابتسام..

ومر عسكري البوليس، فانحنى عليه يقلب الجسم القزم بيد
قاسية، ثم بصق على الارض، واتجه الى آلة تليفون ليدعو
الاسعاف وهو يردد متأفقا:

الله يقطع الخمرة على اللى بيشربوها..



وجلست يولند بعد يومين تسأل:
اين الاستاذ؟

الخيط الرفيع

فى المستشفى. لقد دهمته سيارة..
وسألت فى ارتياح شديد لم تدرى هى نفسها له سيبا:
اى مستشفى؟
المستشفى الايطالى..
سأذهب إليه..
وقامت الى المستشفى، ولم تكن تدرى انها قامت لتكتب
قصتها معه..

الخيطة الرفيع

(٤)

ذهبت إليه فى المستشفى وفى يدها باقة من
الورد.. ولم تكن تدري لماذا ذهبت إليه..

كان كل ما تحس به انها تجامل صديقا وقع
له مصاب، وهى حريصة دائما على ان تجامل

الاصدقاء، وقد تصل فى مجاملتهم الى حد النفاق.. ولم يعد
هذا النفاق يكلفها شيئا.. لم يكن يكلفها شيئا ان تبتسم لكل
رجل، ولم يكن يكلفها شيئا ان تتحمل حديث مخمور يثقل به
على اذنيها، أو تترك وجنتيها لقبلة من هذا أو لسة من ذاك، بل
انها كانت تتذكر جميع اعياد ميلاد هؤلاء الاصدقاء الذين
يمرون فى حياتها فترسل لكل منهم هدية صغيرة تستردها
كبيرة فى عيد ميلادها..

انها امرأة ضعيفة ليس لها سلاح فى هذه الدنيا التى تعيش
فيها، الا هذا النفاق.

ورغم ذلك فقد كانت مدفوعة اليه باحساس اقوى من
المجاملة وارق من النفاق..

وكان راقدا فى سريره والضمادات تلف رأسه الكبير،

الخييط الرفيع

وذراعه مربوطه الى صدره، ووجهه هادىء، وعيناه مغمضتان
كأنه فى حلم ناعم جميل..
وفتح عينيه فى بطنه كأنه يتثائب بهما..
والتقى بوجهها..
وعاد واغمض عينيه كأنه يحاول ان يسترد بقايا حلمه..
ثم فتح عينيه مرة ثانية وقد التمع فيهما بريق مخيف،
وصرخ:
انت؟!
كيف حالك؟
قالت وهى تقدم مع ابتسامتها باقة الورد:
انت وحشتنى قوى يا استاذ.. ازيك؟
واطاح باقة الورد بذراعه، وصرخ وقد اشتد لمعان البريق
المخيف فى عينيه:
ابعدى عنى .. اخرجى من هنا..
قالت مرتاعة وهى تتراجع عن متناول ذراعه:
أنا.. لماذا.. ماذا حدث.. هل انت بخير!
وعاد رأسه فوق الوسادة وقال فى صوت ضعيف وقد
اصفر وجهه وتلاحقت أنفاسه:
لقد كنت بخير قبل ان اراك..
قالت وهى فى عجب:
مالى أنا.. لقد دهمتك سيارة..
انت التى دهمتنى..
كيف؟

الخيطة الرفيع

الا تدرين!

وايتسم ابتسامة خفيفة كأنه يهزأ من الدنيا أو يهزأ منها أو يهزأ من نفسه، ثم اغمض عينيه، وادار رأسه عنها..
وخطت خطوة إليه، ثم جلست على حافة السرير، ومدت كفها فى تردد ووضعتها فى كفه.. وقالت فى صوت يقطر حنانا:

لست ادرى شيئا..

وقبض على كفها فى كفه، وضغط عليها وكأنه يريد ان يعتصرها، ثم ادار لها رأسه ورفع عينيه اليها، وحرك ذراعه المرتعشة الهزيلة ف قرب كفها الى فمه واستراح عليها بشفتيه فى قبلة صامتة لا يريد لها ان تنتهى..

ودق قلبها فى رفق وكأنه قلب أم تحنو على وحيدها، وارتمت فى عينيها نظرة غلب الحنان فيها الدهشة.. ثم قالت فى همس وكأن عاطفتها قد حبست صوتها:

الآن ادرى..

ورفع شفتيه عن كفها وتمتم فى صوت خافت مرتعش:

ماذا تدرين؟

انى اعجبك..

اذن فانت لا تدرين..

انك تريدنى..

انت ايضا لا تدرين..

ماذا اذن؟

وركز عينيه فى وجهها برهة وكأنه يستجمع شجاعته، ثم

الخيوط الرفيع

قفزت الدماء الباهقة الى وجنتيه فاحتقنتا، ثم عاد واسدل جفنيه
فوق عينيه وارتعشت شفثاه وكأن الحمى دبت فيهما، ونطق
وكأنه يقتلع الحروف من اعماق بعيدة فى قلبه:

انى.. انى احبك!

قالها واستراح وكأن الكلمة كانت تجثم على صدره آلاف
السنين.. ثم ادار رأسه عنها كأنه قال شيئا ليس من حقه ان
يقوله، أو كأنه خجل من منكر اتاه..

وشهقت بولند، ولكنها التقطت شهقتها ودفنتها فى صدرها
قبل ان تصل إلى اذنيه، ثم حاولت ان تبتسم ابتسامة هادئة
وهى تضع يدها على كتفه النحيلة قائلة:

الى هذا الحد.. ولماذا لم تصارحنى بكل هذا الحب؟

قال وهو لا يزال يدير رأسه عنها:

انه حب بلا امل..

ان الحب هو الامل، ولو كنت تحبني لما فقدت الامل..

انى قزم ضئيل..

انك عقل كبير.. والمرأة قد يفتنها عقل الرجل قبل ان يفتنها
شكله..

انى فقير..

انك غنى عن الناس.. والمرأة قد تسعد فى الفقر اذا ما

اغناها رجلها عن الناس..

ليس لى ما اقدمه لك..

يكفينى حبك..

والتقت إليها وحاول ان يتكلم:

الخييط الرفيع

ولكن..

وقاطعته:

هناك امل.. امل كبير!

قال:

لقد تعذبت كثيرا فى سبيل هذا الامل..

قالت:

وستسعد به كثيرا..

ووضعت اصبعها على شفتيه حتى لا يتكلم، ونظرت الى وجهه وكأنها تنظر اليه لأول مرة.. نظرت الى الرأس الكبير، والى الوجه النحيل، والعظام البارزة، والجلد الاصفر المشدود، والشفقتين الباهتتين، ثم احست بيد تقبض على قلبها وتغرز اصابعها فيه حتى تدميه، ثم تحاملت على نفسها وانحنى عليه تقبل الوجنه الباهتة المطلة من بين الضمادات البيضاء، وكأنها تقبل كلبا ضالا اعجف رقد منهكا يلفظ انفاسه الاخيرة، بينما احاطت به ملائكة بيض يزفونه الى السماء.

وانتشى تحت وقع شفتيها..

ثم رفعت شفتيها عن وجنتيه، دون ان تبتلع قبلتهما او تبالهما بريقها، وابتسمت فى حنان قائلة:

والآن اتركك بعد ان تعدنى ان تستريح..

قال وقد تهلل وجهه بشرا:

لقد استرحت..

وخرجت..

خرجت وصدرها يضيق بانفاسها.. كانت متأكدة انها لا

الخيوط الرفيع

تريد ان تفتح امامه ابواب الامل، وأنها لن تحبه ولا تتمنى ان يحبها، وان ليس فيه شيء تريده، بل ليس فيه شيء تحمله، ولكنها لم تستطع الا ان تشفق عليه..

وقد كانت دائما ضحية هذه الشفقة.. ضحية هذه اليد التي تعصر قلبها كلما مرت بمخلوق ضعيف تعتقد انه في حاجة اليها..

بل ان قصتها هي قصة هذا القلب الكريم الذي تكرم على الناس حتى بجسده.. هذا القلب الشفوق الذي اشفق على كل من التقت به ولم يشفق عليها.. وهذا القلب الطيب الذي جمع الدنيا في طبيئته ثم نحاها عن هذه الدنيا..

ان امها ايطالية، واباها مالطي، وهي اصغر اربع شقيقات واخوين.. عائلة كبيرة يعولها اب مكافح يعمل أكثر من عمل ويجمع الرزق من كل باب شريف.. وكانت هي وحدها بين شقيقاتها الثلاث التي تشبه اباها.. كانت سمراء مثله، وكن شقراوات مثل امهن.. كان جمالها هادئا يتسلل الى اعصابك في رفق كمخدر عبق اذا ما طاف بك ادمنته.. وكان جمالهن صاعقا يطرق عينيك في قوة ويسقط في قلبك فيهنه بعنف ثم لا تلبث ان تمله قبل ان يتمكن منك.. وكانت كأبيها تحمل دائما عبء الآخرين وتفنى نفسها في سبيلهم.. وكن كأماها لا يحملن حتى عبء أنفسهن ولا يشعرن الا بما يردن.. انانيات تنحصر الدنيا كلها في رغبة من رغباتهن..

وقد خط قلبها الكريم الشفوق الحنون جميع سطور حياتها. كانت لها زميلة وهي لا تزال طفلة في مدرسة سان فنسان وكانت هذه الزميلة ضعيفة، غبية مهملة دائما، وكانت بقية

الخيطة الرفيع

الطالبات يتخذن منها اضحوكة يضحكن عليها ويلهين بها، فوقفت هي وحدها بجانبها تحميها من زميلاتهما وتصد عنها نكاتهن.. الى ان حدث يوما ان اخطأت هذه الزميلة فضربت بها احدى الراهبات اللاتي يقمن بالتدريس، فلم تمالك يولند أو يوللى - نفسها وهجمت على الاخت الراهبة تضربها وتبعدها عن زميلتها الضعيفة..

وكان ان فصلت من المدرسة نتيجة لتعديدها على الاخت الراهبة وانتقلت الى مدرسة اخرى اقل رقا من الأولى.. وكان لها وهي فى الرابعة عشرة فتى من أبناء الحي يكبرها سنا بقليل.. كانت ترتاح إليه وتسعد بصحبته وتنعم بذراعيه فى امسيات يوم السبت عندما ترقص معه فى الحفلات التى يقيمها الاصدقاء كل اسبوع.. الى ان تقدمت فتاة اخرى تنافسها فى هذا الشاب، فلم تقبل المنافسة انما اعتقدت ان هذه الفتاة تشقى بحب الفتى وتجن به، فسعت بها اليه، ووطدت بينهما الصداقة ثم تنازلت لها عنه، ورضيت ان تشقى بدونه بدلا عنها..

وعندما اعلنت الحرب سعت حتى التحقت كمتطوعة فى الجيش البريطانى، وعهد اليها بعمل فى فرقة المقاومة الجوية فكانت تجلس طول الليل الى آلة تلتقط اصوات الطائرات المغيرة فترسل بها اشارات الى فرق المدفعية.. بينما شقيقاتها الثلاث يقضين طول الليل يبحثن عن الضباط الانجليز حتى وجدت كل منهن زوجا من بينهم..

وكان مرتبها الكبير الذى تتقاضاه من الجيش والذى بلغ سبعين جنيها فى الشهر يضيع بين امها وشقيقاتها.. كانت

الخيوط الرفيع

تنفقه عليهن مختارة.. كانت تشتري لهن ثيابا وهدايا وتشارك
فى نفقات البيت، وكان يكفيها دائما فرحتها بفرحتهن..
والتقت بأحد الضباط الذين يعملون فى فرقتهما.. كان حزينا
دائما ودائما يحن الى وطنه، ودائما يحدثها عن امه وبيته
وشقيقته والفتاة التى يحبها.. واعطته كل شىء لينسى غربته..
اعطته شفتيها لينسى شفتى الفتاة التى تنتظره، واعطته حنانها
لينسى حنان أمه وشقيقته، ودعته الى بيتها لينسى بيته..
وخرجا يوما فى الفجر من مركز قيادة الفرقة بعد ان انتهى
عملهما.

كان فجرا باردا كثيف الضباب، وكانت ارض الشارع تلمع
تحت قطرات الندى، ولفحات الهواء تلمس وجهيهما فى رفق
لذيذ، بينما مصابيح النور تلقى حلقات مضيئة صفراء فوق
سحب الضباب الواطئ، كأنها هالات فوق رؤوس ملائكة لا
تبين وجوههم.

وكان كل ذلك يذكره بمدينة لندن.. جوها وضبابها
وشوارعها ولفحات هوائها..

واراد ان ينسى لندن فدعاها الى بيته ليشربا قدحا من
الشاي الساخن.. وهناك فوق الاركة الواسعة اخذ يحدثها عن
لندن وعن لياليه التى قضاها فى لندن، وعن الفتيات اللواتى
التقى بهن فى لندن..

ثم أغمض عينيه ليتوهم نفسه فى لندن..

ثم ضمها الى صدره واحتضن شفتيها بشفتيه ليتوهم انها
احدى فتيات لندن!

ثم مد ذراعه واطفاً النور.....

الخيطة الرفيع

.....
.....
.....
.....
.....

ثم رفع شفتيه عن شفثيها، وأبعدها في رفق عن صدره،
وقال وهو يسترد أنفاسه:

انك اشهى من كل فتيات لندن!

ولم تكن سعيدة هذه المرة كما اعتادت ان تكون سعيدة كلما
ظنت انها استطاعت ان تخفف عنه بعض غريته.. لقد احست
هذه المرة انها دفعت كثيرا لتنسيه لندن!

وكرهت لندن هذه، بل شعرت انها تكرهه، وتكره نفسها
وتكره قلبها الضعيف الذي يحنو على كل ضعيف محزون، ولا
يحنو عليها، وهي اشد الناس ضعفا وحزنا..

ورغم ذلك فقد ظلت تحرص على اسعاد هذا الضابط، وظلت
تساعده في التخفيف عن غريته، ولكنها لم تحاول بعد هذه المرة
ان تنسيه لندن!

وخرج الضابط من حياتها بانتهاء الحرب، دون ان يترك لها
سوى ذكرى تبتسم لها احيانا، وتخجل منها احيانا، وتثور
عليها احيانا اخرى..

والتقت بعد ذلك بالشاب الوحيد الذي احبته..

كان ابن احد كبار موظفي السفارة البريطانية في مصر..
احبته بكل ما في قلبها من حنان وطيبة وشفقة وكرم، وبكل ما

الخط الرفيع

تمنته فى احلامها من سعادة و حياة مستقرة آمنة و اذعة..
احبته حتى لم يعد فى قلبها شىء تعطيه للضعفاء المحزونين
الذين اعتادت ان تشفق عليهم..

وكانت الحرب قد انتهت، و التحقت بوظيفة فى بنك باركليز،
فانها - كأبيها - لا تستطيع ان تعيش بلا عمل.. وكان هو موظفا
فى شركة شل فنقل الى احد فروع الشركة على ساحل البحر
الاحمر..

وقبل ان يسافر الى مقر منصبه الجديد، اعلنا خطبتهما.
واكتملت لها السعادة.. ومضى عام كامل وهى تخرج من
البنك لتجلس فى بيتها تكتب له.. كانت تكتب له كل يوم، وتعيش
معه فى صفحات طوال لا تنتهى إلا عندما تنام بعد ان تضع
صورته فى جفونها..

ولكن هذه السعادة لم تدم، فقد تدخلت امه لتحرمها منه..
وكان قلبها الطيب الحنون اضعف من ان يقاوم انانية الأم التى
لا تريد لابنها ان يتزوج من فتاة هى ابنة رجل مالطى..
والانجليز لا يحترمون كثيرا ابناء وبنات مالطة!
ضاع منها حبها..

وعاشت اياما وشهورا فى هزات عاطفية بدأت ألما حادا
يمزق قلبا، ثم اصبحت حزنا صامتا يلفها فى طياته وتستسلم
له فى دعة ثم ذاب الحزن فى قلبها وعاد قلبها اشد طيبة، واشد
شفقة، واكثر كرما..

وبدأت أحوال المعيشة تسوء..
كانت شقيقاتها الثلاث قد تبعثرن فى انحاء الارض مع
ازواجهن، وكان شقيقها قد سافر الى بلد آخر يرتزق منه،

الخيطة الرفيع

وشقيقتها الآخر لا يزال طالبا لا يريد ان يدرس بقدر ما يريد ان يلهو، وكانت ابواب العمل قد بدأت تغلق فى وجه والدها العجوز عاما بعد عام..

ووجدت العبد كله يقع على كاهلها، وهى لا تملك أكثر من ثلاثين جنيتها فى الشهر قيمة مرتبتها.

وانتقلت الاسرة من البيت الكبير الى البيت الصغير..

وبيعت قطع الاثاث الفخم الواحدة بعد الاخرى..

واستغنى عن الخادم النبوى والطباخ واستعاض عنهم

بخادم من ابناء البلد يرضى بالاجر الضئيل.

وبدأت تحس بثقل الحياة، وبدأ الجميع من حولها يفرضون

عليها وحدها كل مطالبهم، وبدأ الحنو الذى احاطتهم به

والتضحية التى تبذلها فى سبيلهم، ينقلبان الى واجبات ثقيلة

يلحون عليها بها وكأنها مكلفة باعالتهم.. ورغم ذلك لم يكن احد

يشكرها أو يعترف بفضلها أو يرحمها من مطالبه..

كانت امها دائمة الصراخ والتبرم..

وكان اخوها تصل به وقاحته ان يهددها ليبيتز قروشا

يصحب بها فتاته الى السينما..

ثم عادت احدى شقيقاتها بعد ان مات زوجها تحمل طفلا

رضيعا على كتفها.. وأصبحت مكلفة بها ايضا، لأن الشقيقة

العزيرة لا تستطيع ان تبحث عن عمل، ولا تستطيع ان تعمل لو

بحثت.

ثقلت عليها الحياة.. حتى فكرت فى الانتحار، بل انها

اقتطعت جزءا من مرتبتها الضئيل واشترت به سما لا تزال

تحتفظ به فى حقيبة يدها..

الخييط الرفيع

انسان واحد لم تكن تستطيع ان تتركه وحده على قيد الحياة..

ابوها..

ابوها الذى احبته بل عبده وتشبهت به فى كل ايامها،
والذى تشترق الدنيا كلها اذا ما ابتسم، وتعبس دنياها اذا ما
عبس.. والوحيد الذى يفهمها ويفهم قلبها الكريم الحنون،
ويحمد لها تضحياتها ويصل به الحمد الى حد ان يبكى لها..
ثم حدثت مصيبة اخرى..

مرضت امها مرضا خطيرا.. وعجزت مواردها القاصرة ان
تقوم بعلاجها..

وهنا فقط تذكرت عبده بك..

تذكرته من اجل امها المريضة، واييها العجوز، وشقيقها
اللاهى، وشقيقتها العاطلة.

وكان عبده يتردد على البنك، وكان ينظر إليها طويلا، وحاول
ان يحييها مرة أو مرتين فصدت تحيته فى اهمال رغم انها
تعرف مدى نفوذه وتعرف - خلال الارقام التى تمر بها اثناء
عملها - مدى ثروته.

وكان قد ارسل لها احدى زميلاتهما يدعوها الى موعد..
فرفضت..

ولكنها قررت اخيرا ان تقبل..

وقالت له بصراحة وفى المرة الأولى التى خرجت فيها إليه،
انها تريد ان تدفع نفقات امها..

ودفع عبده بك فى سقاء كبير يكفى لعلاج امها وجميع

الخيطة الرفيع

افراد عائلتها لو مرضوا مدى الحياة!
وأصبحت عشيقته..

وكانت تعتقد ان الامر لا يكلفها الا ان تتنازل عن بعض تقاليدها، وان تتحمل طرقات رجل غريب فوق جسدها.. ولكنها عرفت ان الامر يكلفها اكثر من ذلك بكثير.. انه يكلفها آدميتها، يكلفها احساسها بالحياة.. وعرفت ان الذى يقول: «ان هذا هو اسهل طريق امام المرأة» لابد ان يكون رجلا لم يكتب عليه أبدا ان يسير فى هذا الطريق.

كان يصيبها الرعب عندما يقترب منها، كلما انفردا بجوار فراش، ورغم ذلك كان عليها ان تبتسم.. وكانت اعصابها تثور وصدرها يضيق كلما احتضنها بين ذراعيه، ورغم ذلك كان عليها ان تضحك، وفى خلعة.. وكانت انفاسها تهرب وامعاؤها تنقلب كلما قرب فمه من فمها، ورغم ذلك كان عليها ان تحرك شفتيها بين شفتيه.. وكانت الحسرة على نفسها تشق قلبها كلما برز لها بكرشه الضخم المتهدل وساقيه الرفيعتين المقوستين، ورغم ذلك كان عليها ان تضم هذا الكرش وتتحمل ثقله.

كان عذابا.. جحيما.. فاستعانت عليه بالخمير تشرب منها حتى تقوى عليه وعلى نفسها.. ثم خيلت لها كرامتها ان تبحث عن الشبان ليمتصوا شبابها الذى يمتصه هذا العجوز الثرى، فبدأت تنتقى منهم من يروقها.. وقد يعلم عبده بهم أو ببعضهم، وقد يثور احيانا ويرجو احيانا، ولكنه ظل محتفظا بها، فقد كان جمالها الهادى، قد تسلل الى اعصابه حتى أمنه.

ولم تعد تقوى على عملها فى البنك وهى تعيش هذه الحياة

الخيوط الرفيع

فخرجت.. ولم يسألها احد من عائلتها لماذا خرجت.. وقد عرفوا عبده بك ولكن احدا منهم لم يسألها من هو، ولا ما مدى علاقتها به.. كانوا جميعا سعداء ما دام الرغد قد شمل حياتهم وما دام المال عاد يجرى وفيرا بين اصابعهم.. انسان واحد كان يفهم، وكان يتألم ولكنه كان يصمت.. صمت كل شيء فيه حتى عيناه فلم يعد يرفعهما اليها، ولم تعد تقوى على ان تواجهه بعينيها.. ابوها..



ومرت ذكرى هذه الايام كلها فى مخيلتها وهى تغادر المستشفى وقلبها لا يزال فى هذه اليد القوية التى تعتصر منه الشفقة والحنان.. الم يكفها شفقة على الناس.. انها لن تعود.

لن تعود الى هذا الشاب الضئيل ذى الرأس الكبير والوجه النحيل والجلد الاصفر المشدود.. ما لها وما له.. ليحبها أو ليتحر من أجلها فماذا يهمها منه ما دامت لا تريده.. هل خلقت لتسعد البشر جميعا وتسرى عنهم؟

تقوياً قلب.. لا تضعف.. لا تشفق.. كن قاسيا انانيا عريدا..

ولكن قلبها لا يستطيع ان يقوى.. انه لا يزال ضعيفا كريما.. وعادت اليه فى المستشفى.. وكان يجب ان تعود!

(٥)

عادت إليه فى المستشفى وفى يدها باقة
أخرى من الورد.. وترددت لحظة قبل أن تطرق
الباب.. وربما مر بخاطرها أن تعود من حيث
أتت، فهي تعلم أن كل ما يربطها به هو شفتها
عليه، وتعلم أن قلبها الشفوق قد قادها إلى مهاو كانت تستطيع
أن تتجنبها لولا هذا القلب.. ورغم ذلك فقد طرقت الباب..
ودخلت!

كان شيء جديد قد دب فيه..
كانت عيناه تبتسمان فى هدوء وسكينة، كرجل ترك الدنيا
واستراح فى الجنة..
وكانت على وجهه مسحة من الدعة المشرقة كأنه روح
منطلق يعلو فوق آلام البشر..
وكانت شفاته الباهتتان قد سرت فيهما عصارة النشوة
يدفعها قلبه الخفاق فاصبحتا أقرب إلى شفاه الأحياء..
حتى عظامه البارزة قد اختفت تحت اشراقة وجهه.
لم يعد له هذا الوجه البائس المكتئب والعينان الشاردتان

الخييط الرفيع

والشفتان المزمومتان.. كان شىء جديد قد دب فيه..
واستقبلها فى لهفة، ورفع رأسه المضمّد من فوق الوسادة
وهو يمد ذراعه السليمة اليها، يلتقط بها كفها.. وقال
وابتسامته تكاد تبتلع وجهه:
لقد كنت اعيش على امل عودتك..
لقد قلت لك ان هناك املا..
انه امل اكبر منى.. اخشى ان يكون سرابا..
ان السراب يجدد نشاط المرتحل..
اذن، فهو سراب!
وما هو الامل.. انه سراب.. ويوم يتحقق لم يعد سرابا لانه
لم يعد املا، بل يصبح حقيقة..
انا لا افهم.. ماذا تعنين؟
كلنا لا نفهم، ولكننا نسير!
الى اين؟
لا احد يدرى الى اين.. ولكننا نسير وراء شىء.. وراء هذا
السراب أو هذا الامل!
ومرت سحابة قاتمة فوق وجهه، وضاعت ابتسامته حتى
اصبحت اشبه بالأتين، وقذف برأسه فوق الوسادة قائلا فى
همس:
لقد عشت ساعات فى وهم..
قالت، وهى تجلس على حافة السرير وتضع كفها فوق كتفه
النحيلة:
حاول ان تضعنى فى اوهامك، حتى يسعد كلانا..

الخيوط الرفيع

انت اوهامى..
 اذن لا تفقد الوهم، حتى لا تفقدنى..
 اليس لى منك الا الاوهام؟
 انى معك الآن بشخصى.. ليس هذا طيفى.. خد.. امسك
 هذه الذراع.. انها ذراعى.. انها حقيقة وليست صورة من
 وهمك.. الا يكفىك هذا!
 وابتسم وهو يتحسس ذراعها بكفه ويضغط عليها باصابع
 رقيقة كأعواد القش..
 وانعكست ابتسامته فوق شفتيها وقالت:
 المهم.. كيف حالك؟
 واتسعت ابتسامته وهو يجيب:
 الأهم.. كيف حالى عندك؟
 قالت ضاحكة:
 بخير وعافية!
 وقامت ترتب اعواد الورد فى الآنية وهى تسأله عن حاله،
 وعن المعاملة التى يلقاها فى المستشفى وعن نصائح الطبيب،
 وعن الدواء الذى وصفه له... الخ!
 وكانت سعيدة.. ولم تكن تدري سر هذه السعادة.. لم تكن
 تدري ان الشفقة التى تحس بها نحوه هى سر سعادتها.. لان
 الشفقة ما هى الا نوع من الأنانية وحب الظهور وحب العطاء..
 انها احساس بالقوة تجاه ضعيف.. احساس بالعظمة ازاء
 انسان ضئيل.. وهو احساس يرضى صاحبه ويملا نفسه
 غرورا وزهوا فيخيل إليه انه سعيد..

الخيطة الرفيع

وهي مثلاً تكره عبده بك.. تكرهه لانه اقوى منها ولأنها تحس بحاجة إلىه، ولو انه كان اضعف منها واحسبت بحاجة إليها أكثر من احساسها بحاجة إليه، لما كرهته رغم شكله القبيح ورأسه الاصلع وكرشه المتهدل.. وانما كانت تشفق عليه وربما اعطته من نفسها اكثر مما تعطيه الآن..

كان هذا هو سر سعادتها..

ولكنها لم تكن تدري لسعادتها سرا، انما انقادت لها وكل ما تدريه انها تشفق على هذا الشاب.

وطالت زيارتها له..

وطال الحديث بينهما..

وكان حديثا متقطعا لم يتسق بعد.. كان يروى لها بعض فقرات من حياته، وكانت تروى له فقرات متباعدة من حياتها. لم يقل كل شيء ولم تقل كل شيء.. ولكنها كانت تشعر في حديثه بشيء افتقدته منذ زمن بعيد، أو منذ ان باعت نفسها لعبده بك لتتخذ امها المريضة واباها العجوز، واخاها اللاهى، واختها العاطلة.

كان يحدثها كسيدة كاملة.. حديثا ملؤه الاحترام والتعفف والحب النقى.. ولم تكن عيناه تطل على جسدها خلال حديثه ليفحص بها ساقياها ونهديها وخصرها، بل كانتا عينيّن خاشعتين هادئتين.. ولم تكن يده تمتد في تعمد غير مقصود لتقع على ذراعها أو على فخذه كما يفعل عبده واصدقاؤه، بل كانت يدا عفة مهذبة.. وكان يلتقط كلماتها من شفيتها كعابد يقرأ في كتاب ربه، ولم يحاول ان يجر حديثها الى ناحية خليعة أو يجبرها على ان تحشوه بالنكات المفتعلة، بل كان يتقبله

الخيطة الرفيع

حديثا جادا نظيفا، حتى عندما كانت تغالى أو تكذب كذبة بيضاء لم يكن يداخله شك، بل كان يؤمن بما تقول ايمانا مطلقا يبدو على وجهه ومن خلال عينيه، وكأنها تحدثه عن عالم ضيق مجهول، لم يطرقه، ولم يكن له منه نصيب.

واشتدت سعادتها .. السعادة التى لم تكن تدرى لها سببا. وانحنت على وجنته الباهتة التى تطل من بين الضمادات البيضاء تقبله قبلة جافة لم تبللها بريقها، ولم تتعد لمسة سريعة من شفيتها ..

وخرجت..

وعادت فى اليوم التالى.. والذى يليه، ولم تعد تتردد قبل ان تطرق الباب..

فقد كانت سعيدة كلما عادت..

وبدأت تتولى شئونه، وترتب له حياته، كأنها أم ترسم خطوات وحيدها أو كأنها عضوة جديدة فى احدى الجمعيات الخيرية لا تزال مبهورة باغراض ومبادئ الجمعية مندفعة فى تحقيقها ..

كانت تجمع ثيابه وتأخذها معها الى المكوى لتعيدها نظيفة.

وكانت تناقش الطبيب كلما عاده وتقف على يد الممرضة وهى تضمد جراحه.

وكانت تستقبل اصدقاءه وتطوف عليهم بصندوق الطوى، وكان يقدمها اليهم باسم «الآنسة يولند» ولا يزيد فكانوا يقلبون النظر بينها وبينه، ثم يبتسمون فى صدورهم، وبعضهم يحسن الظن فيعتقد انها صديقة له تعطف عليه، وبعضهم يسيء الظن

الخييط الرفيع

فيطلق لخياله العنان ويخرج لينثر حولهما اشاعات وقصصا، بطلتها الحسناء السمراء ويطلها القزم الاصفر الضئيل. وكانت تعود إليه دائما وفي يدها شئ.. فاكهة.. شيكولاته.. ورد.. ثم بدأت تهديه ما يحتاج إليه.. اشترت له مرة «روب ديشامبر» ومرة اخرى جوارب من الصوف، ومرة ثالثة حذاء منزليا، ومرة رابعة مجموعة كبيرة من الثياب الداخلية.. الخ. وكانت تشتري كل ذلك من النقود التي يدفعها لها عبده بك.. وكانت تشعر بسعادة وهي تشتري له.. سعادة لم تشعر بها وهي تنفق على عائلتها.. انها سعادة تغطي بها الماراة التي تعتمل في نفسها منذ ان بدأت تمتد يدها الى نقود عبده بك.. كانت تأخذ وهي الان تعطي.. كانت يدها هي السفلى والان لها اليد العليا.. بل انها اصبحت كعبده بك نفسه، لها قوته، ولها سطوته، ولها امكانية المنح والتكرم.. وأكثر من ذلك انها تنتقم من عبده عندما تنثر نقوده على رجل آخر، وتحس انها تستغفله وتكيد له..

ولكنها لم تكن تفهم كل ذلك، ولم تكن تفهم سر اقبالها على هذا الشاب، وسر اهتمامها به، وسر هذا الكرم الذي تحيطه به.. لم تكن تفهم نفسها ولم تكشف العقد النفسية المركبة التي تسيطر عليها كل ما كانت تحس به انها تستيق عليه.. اما هو..

كان في شبه غيبوبة من السعادة.. كانت سعادته طاغية شلت تفكيره، فلم يعد يتساءل عن ماضيها، ولم يعد يذكر عبده بك وعلاقتها به، ولم يعد يذكر الشاب الوسيم المتسق العضلات الذي رآها في صحبته مرة وهي تكاد تنطبع على

الخييط الرفيع

صدره، ولم يعد يسائل نفسه من أين تعيش ومن أين تأتيه بهذه الهدايا، بل انه نسي صورته التي رآها في المرآة، نسي قوامه الضئيل وذراعيه الطويلتين في غير اتساق، رأسه الكبير ووجهه النحيل وجلده الاصفر المشدود فوق عظامه البارزة، وعينييه القلقتين خلف نظارته السمكية وشفتيه الباهتتين، وضلوعه التي تشبه اعواد الجريد في قفص بال من اقفاص الفراخ..

نسى كل ذلك، ووقد في سريره نشوان مستسلما لسعادته الكبرى، مكتفيا بان يتبعها بعيني العابد وهي تنتقل امامه في ارجاء الغرفة، فاذا ما جلست إليه تحدثه اصغى اليها بأذني مؤمن يستمع الى أى الذكر الحكيم..

وكان في سعادته حبيبا خجولا متواضعا الى حد التذلل.. لم يكن يكلفها شيئا، ولم يكن يطلب شيئا، وكان يتقبل ما تمنحه له من هدايا شاكرا في حرارة حتى ليكاد يقبل قدميها، وكان يحتاج كلما ساعدته في مرضه وقامت له بما تقوم به الممرضة.. وكان يعتبر ذلك تنازلا كبيرا منها، ومنة لا يستطيع ان يردها أو يفيا حقها من الشكر..

ولكن السعادة بدأت تطفئ به، وبدأ من حرصها على اسعاده يفرض لنفسه حقوقا عليها..

ثم بدأ العبد يتمرّد ليصبح سيّدا..

كان في بادئ الامر يصر على ان ينادى الممرضة اذا ما اراد كوب ماء.. فكانت تسرع بها إليه قبل ان تأتي الممرضة..

ثم أصبح لا يحاول ان ينادى الممرضة، بل يرجوها في توسل!

الخيطة الرفيع

هل.. هل.. هل استطيع ان اطلب كوب ماء.. انى ظمان..
شكرا.. الف شكر!
ثم أصبح يقول فى اختصار!
من فضلك كوب ماء!
ثم أصبح يأمر:
ادينى كوب ميه!
ثم أصبح يصرخ:
ماء!

وانسأقت فى تدليله دون ان تدري، كانت كأم تتحمل نزوات
ابنها المريض فى صبر كريم، وكلما تهادى فى نزواته تهادت
فى صبرها..

وقد اعاد له هذا التدليل بعض ثقته فى نفسه فتذكر انه عالم
كبير، وتذكر كتبه التى قرأها، والمستقبل العريض الذى ينتظره،
وكان قد بدأ يقيق من مرضه فارسلها الى بيته لتحضر له
بعض الكتب وبعض المذكرات، ليستعيد بها ماضيه، ويعد عدته
لستقبله.

واخذت منه مفتاح الدار وذهبت..

انها دار لشاب اعزب من الطبقة الوسطى متفرغ لتحصيل
العلم.. الاثاث مرتب نظيف، ولكنه بال خال من الذوق،
والحجرات واسعة مريحة ولكنها عابسة مبتئسة كأنها تبكى
على نفسها..

واحست فى هذا البيت بأنفاسها تضيق.. احست انها
دخلت بقدميها الى سجن لم يحكم عليها به ولكنها اختارته

الخيط الرفيع

لنفسها ..

ورغم ذلك لم تحاول الهرب، لم تتجه مباشرة الى مكان الكتب لتحملها وتقر، بل اخذت تطوف بحجرات السجن وهي تنقل قدميها في بطن حزين، وتقف طويلا امام هذه النافذة، وتقف طويلا امام هذه الصورة وتقف طويلا امام هذا المقعد.. ثم بدأت تنقل قطع الاثاث في مخيلتها وترسم للسجن صورة جديدة وكأنها تعدد لاستقبالها.. هذه القطعة يجب ان تنتقل الى هنا، وهذه توضع هناك.. وهنا يجب ان توضع «ستارة» وهنا صورة.. وحجرة الطعام يجب ان تنتقل الى مكان حجرة النوم.. و.. و.. الخ..

وقضت في البيت ساعات طويلا، وهي لا تستطيع ان تشعر بوجودها فيه أو بسبب يقيها بين حجراته! وخرجت تحمل كتبه اليه.. خرجت وكأنها خرج الى الدنيا الفانية لتعود مرة ثانية الى مصيرها المحتوم! وكانت لا تزال محفظة بعلاقتها بعبدته بك.. ولم يخطر لها سبب أو دافع لقطع هذه العلاقة.. كانت لعبده كل مساء وكلما ارادها ليذهب بها الى ميدان السباق، وكانت لا تزال مقدرة حاجتها إليه معتمدة على ماله الذي ينفقه عليها بسخاء.. كل ما هنالك انها كانت تحدثه كثيرا عن الاستاذ المريض الراقد في المستشفى، وكانت تتحدث دائما في حماس وكأنها تلقى محاضرة عن جمعية خيرية لانقاذ المرضى.. حتى انها دفعت - اى عبده - الى ان يرسل للاستاذ المريض أكثر من باقة زهر تحمل اسمه.

وكانت لا تزال مندفعة في الشراب كل ليلة.. فهي لا تزال

الخييط الرفيع

فى حاجة الى ان تنسى كرش عبده وساقيه المقوستين وشفتيه الغليظتين عندما ينفرد بها فى جوار فراش.

وكانت لا تزال ايضا محتفظة بالشباب الوسيم الوجه المتسق العضلات، الذى يشعرها بشبابها ويرد لها ثقتها فى انوثتها وفى جمالها وفى حقها فى الحياة.. هذه الثقة التى تفقدها كلما وجدت نفسها بجوار عبده بك..

ورغم ذلك فهى لم تنس ابدا ان تذهب الى الشاب المريض كل صباح لتبقى معه الى ان ينتهى موعد الزيارة فى المساء.. ولم تنس ابدا ان تحمل له معها حاجة يحتاج اليها.. ولم تفقد ابدا صبرها وهى تتحمل نزواته.. ولم تكف ابدا عن تدليله.. ولم تنس ايضا ان تقبله هذه القبله الجافه فوق وجنته الباهته المظلة من بين الضمادات، كلما همت بمغادرته..

وفى احدى هذه المرات انحنى عليه لتقبله قبلتها الجافه، فاذا به يدير رأسه حتى تلامس شفاته وجنتها.

واحست بشفتيه ترتعشان فى قبله مترددة هيابه.. وكانت قبلته الأولى فوق وجنتها..

وابتسمت فى حنو وشفقة، ثم ضغطت بوجنتها فوق شفتيه، وقامت منصرفه..

ولم تكن المرة الأخيرة..

فقد ادار رأسه مرة اخرى الى ابعد ما ادارها فى المرة الأولى فاحست بشفتيه تلامسان شفتيها.

ووقفت شفاتها فوق شفتيه، لا تتحركان، وكأنهما اخرجتا فى قبله لا داعى لها، وتفكران كيف تتهريان منها.. وفجأة «طرقعت» بشفتيها قبله مسموعة كأنها الصراخ، وابتعدت عنه

الخيطة الرفيع

مسرعة كأنها تهرب من كابوس.

وكانت قبلته الأولى فوق شفتيها.

ثم أصبحت عادة ان تقبله فوق شفتيه..

ولم يكن يلاحقها بقبلاته أو يلح عليها بها، ولكنه كان ينتظر في صبر ملحوظ الى ان تحين ساعة انصرافها فترسم في عينيه نظرة استجداء وتذلل تثير شفقتها فتحنى عليه بشفتيها، ولا تكاد ان تقتربان منه حتى تلتصق في عينيه نظرة اخرى ملهوفة جائعة، فيلتقط شفتيها بشفتيه كطفل جائع يلتقط ثدي أمه.

وكانت تشعر وهي تقبله شعور الممرضة وهي تحقن

مريضها بالكلورفورم لينام..

ولكنه تهادى..

لم يعد ينام تحت تأثير الكلورفورم، بل أصبح يستيقظ وتستبد به يقظته. أصبح كلما همت بتقبيله يمد ذراعه السليمة ويحيط بها عنقها ويضغطها اليه ليبقى شفتيها فوق شفتيه. ثم أصبح يستقبلها في الصباح بهذه النظرة التي تعرفها والتي تستجديها قبلة، بعد ان كان يصبر حتى المساء حينما تغادره.

ثم أصبح لا يكتفى بقبلة الصباح وقبلة المساء.. بل أصبح يلاحقها بالحاحه طول اليوم، فكانت تستجيب له احيانا عندما تستثير شفقتها النظرة المستجدية الذليلة، وحيانا اخرى تقاوم نفسها وتقاوم شفقتها، فتتهرب في رفق.. الى ان شفى الاستاذ..

الخييط الرفيع

وتقرر ان يغادر المستشفى.
 خرج بعد شهرين دون أن يفقد شيئا.. لم يفقد ذراعا ولا
 ساقا.. ولكنه خرج وقد زاد شيئا.
 كانت معه، وذهبت به الى بيته..
 كانت تحيطه بذراعها وهو يهبط سلم المستشفى، وكانت
 تتركه يستند على كتفها وهو يخطو نحو الطريق، ثم ساعدته
 بكلتا يديها وهو يضع نفسه داخل سيارة الاجرة التي حملته
 الى بيته..
 كان صحيحا معافى، بل كان أكثر صحة وعافية مما كان
 عليه قبل ان يدخل المستشفى، فقد قضى فيه شهرين استرد
 خلالهما الدماء التي نزفها، والاعصاب التي مزقها، والانسفاس
 التي قطعها فى لياليه الطويلة المسهدة، واسترد خلالهما كبده
 التي فتتها فى كؤوس الخمر، بل استرد نور عينيه الذى كاد ان
 يذبل بين صفحات الكتب عندما كان عالما، وبين تتبع الاطراف
 التي كانت تمر فى يقظته بعد ان أصبح عاشقا.
 ولكنها كانت تصر على انه لا يزال مريضا وفى حاجة
 اليها، وكان يستسلم لاصرارها فى لذة ونشوة، فقد تعود منها
 هذا التدليل، وتعود ان يستغل قلبها الطيب، كما يستغل الطفل
 الشقى حنان أمه.
 ودخلت به الى البيت، واجلسته على مقعد مريح، ثم جلست
 على الارض تحت قدميه تخلع حذاءه وكأنه قد فقد كلتا ذراعيه.
 ومد كفه الهزيلة واخذ يمسح بها على شعرها، قائلا فى
 صوت خفيض:
 لقد قضيت ليالى الطويلة احلم بك، ولكنى لم احلم ابدا بكل

الخيط الرفيع

هذه السعادة، ولم اكن اجرؤ على ان احلم بها..
انى سعيدة بسعادتك..

وكانت كفه الهزيلة قد تركت شعرها وهبطت على عنقها
تتحسس، فنظرت اليه فى عتاب رقيق، ورفعت كفه ووضعتها
بجانبه.

قال فى صوت يكاد يكون شجنا:

اترين هذه الغرفة.. لقد كانت يوما صومعة عالم يقضى
لياليه فى ترتيل سطور الكتب.. ثم أصبحت معبد عاشق يهيم
وراء طيف ليس له منه نصيب.. ثم أصبحت تضم مجنونا يحقد
على الدنيا من اجلك.. من اجلك انت كرهت الناس وكرهت
نفسى، وشربت الخمر لأنسى، ثم كفرت لانى لم استطع ان
انسى..

وكانت كفه قد امتدت مرة ثانية الى شعرها، ثم هبطت
تلمس عنقها..

وعادت ترفع كفه وهى تنظر إليه نظرة اشد عتابا، وقالت فى
حنو:

لا تحاسبنى على الماضى، ولكنى اضمن لك المستقبل..
سأكفر عن حبك لى.. هل هذا يكفيك؟

قال وهو ينظر الى كفه التى رفعتها عنها والدموع تكاد تقفز
من عينيه:

يكفينى ما قدمت لى.. انى لا استطيع ان اطمع فى اكثر
منه..

لا تتكلم هكذا.. لا تغلق فى وجهينا باب الامل..

الخييط الرفيع

لا تكذبي.. فليس هناك امل..

لقد تحققت بعض احلامك فانتظر ان يتحقق ما بقى منها..
لقد كنت احلم بحبك، ولكنى لم استطع الا ان اثير شفقتك..
انك تشفقين علىّ، تشفقين على هذا القزم النحيل البارز
العظام الذى كاد يقتل نفسه من اجلك..
انك رجل كامل..

وصرخ فى صوت اشبه بالحويل..
لست رجلا.. انا مسخ. انا شيء كرهه.. أنا شيء تعافه
المرأة.. تعافه كل امرأة ولو كانت فأرة.. ابعدى عنى اتركينى.
ان شفقتك تؤلنى أكثر من هجرك!
ويكى..

وامتدت يد قوية تعتصر قلبها الطيب وتغرز اصابعها فيه
حتى تكاد تدميه، وقالت فى لهفة وهى تضغط على ساقيه
بيدها:

ارحم نفسك وارحمنى.. استعد ثقتك فى نفسك.. انك رجل
تصلح لكل امرأة.. ماذا ينقصك لتكون رجلا.. انك كامل فى
كل شيء.. علمك ومركزك وشبابك ومستقبلك وطيبتك.. كل ذلك
يغرى كل النساء.. ماذا ينقصك؟

وسكت طويلا، ثم رفع عينيه اليها وقد التمتعت فيهما نظرة
بارقة حازمة وكأنه مقبل على شيء خطير، ثم انزلق من فوق
مقعده حتى أصبح بجانبها على الارض، وقال فى صوت
محشرج:

ينقصنى ان اضمك هكذا!

الخيوط الرفيع

وضمها الى صدره بكل ما فى ذراعيه الهزيلتين من قوة، ثم اخذ يمسح وجهه بوجهها، ويسكت انفاسه المتلاحقة فى اذنيها، ويطوف بشفتيه فى رحلة سريعة مجنونة يتحسس خلالها عينيها وانفها وجبهتها وعنقها..

ثم رفع وجهه عنها ونظر إليها وهى مستسلمة له وعلى فمها ابتسامة مفتعلة، وهمس وكأن النشوة قد استبدت به فافقدته صوته:

وينقصنى ان اقبلك هكذا!!

ووقع بشفتيه فوق شفتيها ينهشهما فى جنون كفأر جائع.. وهى جامدة وقد دبّت البرودة فى اطرافها حتى استحالت الى قطعة من الثلج.

ثم انقض عليها، وانفاسه تفح كأنها ثعابين اهاجها دبيب وحش..

ودفعته عن صدرها، وقامت وقد انقبض قلبها، وضافت انفاسها، وثارت عليها اعصابها، حتى كادت تصرخ تسب الدنيا وما فيها، ولم تتمالك من ان تخطب الجدار بقبضتها، ثم تسند رأسها إليه، وكأنها لا تريد ان ترى وجهه ولا ان تراه وجهها..

وتمنت على الله ان تبكى لعل دموعها تريحها من انقباضها..

ولكنها لم تبك، وسمعته يقول وهو لا يزال فى جلسته على الارض، بعد ان استرد انفاسه:

آسف.. لا ادري ماذا اقول.. ولكنى اعدك الا يتكرر هذا منى.. وان اردت فانى اعدك الا اريك وجهى مرة ثانية.. ولم

الخيط الرفيع

تجبه، وكأن الشفقة قد هربت من قلبها لحظة فلم تعد تشعر به،
أو كأنها اكتفت من كلماته التي تثير فيها الشفقة فلم تعد
تسمعها..

وظلت مسبتدة برأسها على الجدار، وهى تخبطة بقبضتها
بين الحين والحين، وكأنها تريد أن تحطم شيئاً تكرهه.
ثم هدأت قليلاً.. وأدارت له رأسها، وقالت فى لهجة أمرة
وكانها تريد أن تنتهى من امر:
قم..

ورفعته عن الأرض بذراعها، وسارت به نحو فراشه
ووضعت فيه، ثم أحكمت حوله الغطاء
لم تتكلم كلمة واحدة، بينما كان ينظر إليها دهشاً..
ثم ابتعدت عنه، وأصلحت نفسها دون أن تنظر الى المرأة،
ثم أطفأت النور فى الحجرة، وخرجت دون أن تقبله كما
اعتادت أن تقبله كلما فارقتة، ودون أن تلقى عليه حتى بكلمة
تحية..

خرجت..

كانت متصلة كعمود من الحجر، لا تستطيع أن تفكر فى
شئ أو تتذكر شيئاً..

وعندما جلست فى سيارة الاجرة التى نادتها، من الله
عليها، فبدأت تبكى..
واراحها البكاء..

وكانت تعلم انها لا تبكى شفقة عليه، بل حسرة على نفسها.

الخييط الرقيق

(٦)

ولم تعد اليه فى اليوم التالى وانقضت ايام
عشرة وهى لا تعود اليه..

ولكنها لم تستطع ان تتناساه أو تهمله..
كانت صورته تقفز دائما امام عينيها، وكانت

كلما مر بخاطرها احست بصدرها يضيق واعصابها تنقبض،
واحست بالغىظ والحققد.. الغىظ من نفسها والحققد على
نفسها..

كيف سمحت له ان يستغل شفقتها الى هذا الحد؟

وكيف سمحت لشفقتها ان تسوقها الى هذا المدى؟

كيف تستسلم لرجل لمجرد انه يثير شفقتها..

وقررت - بعد ايام - ان تذهب اليه لتوقفه عند حده، وتضعه
فى مكانه منها، وتفهمه فى حزم انها قد تحنو عليه ولكنها لن
تحبه، وأنها قد تكون له صديقة ولكنها لن تكون له امرأة، وانها
قد تخفف عنه آلامه النفسية ولكنها لن تقبل منه ان يسكب هذه
الآلام فى جسدها..

يجب ان يفهم انها اسمى من ان يصل اليها، وانها ليست

الخيوط الرفيع

من هذا الصنف من النساء الذى يبتذل جسده لكل رجل ولأى رجل..

ويجب ان يفهم انه اضعف واقل من ان يطمع فيها..
ويجب ان يتقبل حنانها كما يتقبل الفقراء معونة الشتاء..
ونذهبت.. ولم تكن تدري انها كانت كالمقامر الذى يتمادى
فى المقامرة طمعا فى تعويض خسارته.. لقد اعطته الكثير من
حنانها وشفقتها وعصرت قلبها الطيب لترد له انفاسه الهزيلة
وتهبه بعض السعادة التى كان قد يشس منها، حتى اعادت له
الحياة وبدأ يبدو رجلا كاملا.. ومن حقها بعد هذا ان تحتفظ
بهذا الرجل الذى خلقت من حنانها وشفقتها وطيبتها.. من
حقها ان يكون لها.. ان يكون لها خادما أو صديقا أو أى
شئ.. ولكن يجب ان يكون لها..
نذهبت..

وكتمت صرخة خافتة عندما وقعت عيناها عليه..
كان كالشبح الهزيل الاصفر.. عيناها غائرتان فى عظام
وجهه وقد احاطت بهما هالتان سوداوان كمصباح قرغ منه
الزيت ولم يبق من ضوءه الا ذبالة تحرق نفسها وسط دخان
كثيف اسود يكاد يخنقها.. وشفقتان ترتعشان فى ضعف
كأنهما تتمتان بالشهادتين الاخيرتين وكأنهما تخافان الموت..
وعظام مكومة فوق مقعد كبير لا تكاد تبين فوقه، وكأنها عظام
هيكل آدمى استغنى عنه المعهد العلمى بعد ان اجرى عليه
تجاربه فالقى به فى ركن مهمل.

وادار لها رأسه الكبير فى بطة واعياء، ورفع اليها عينيها
الغائرتين ثم مد اليها ذراعين مرتعشتين هزيلتين، واشتدت

الخيط الرفيع

ارتجافة شفتيه الباهتتين.. ثم حاول ان ينطق فلم يستطع..
وسقطت ذراعاه الى جانبه، وسقط رأسه الكبير فوق
صدره، وسقط جفناه فوق عينيه.. وسكن كل شيء فيه حتى
الحياة..

وصرخت..

والقت حقيبتها من يدها، وهرعت اليه تتحسسه، فاذا
بالحمى تلسع كفها، وانحنى عليه تتسمع دقات قلبه فاذا بها لا
تكاد تلتقطها اذن..

وحملته بين ذراعيها وهي لا تكاد تشعر له بثقل، ووضعتة
فى فراشه..

ثم دارت حول نفسها، لا تدري ماذا تصنع..
ثم هرعت خارج البيت، وجرت فى الشارع كالمجنونة تبحث
عن تليفون..
واتصلت بالطبيب..



ومن يومها اصبحت له..

تركزت عبده بك، وتركزت اصدقاءها ونسيت عائلتها، وجلست
بجانب فراشه طول النهار، ورقدت بجانبه على نفس الفراش
طول الليل..

وأصبحت سيدة البيت..

وعاملها الطبيب، والاصدقاء المعدودون الذين يترددون عليه،
والجيران، والخادم، على انها سيدة البيت.. ولم يحاول احد
منهم ان يسائل نفسه ماذا تكون له أو ما هى العلاقة التى

الخيوط الرفيع

تربطها بالاستاذ المريض، فقد اخفى كل هذا اعترافهم بجميلها عليه، ثم انه - حتى وهو فى صحته - لا يمكن ان يكون مطمعا لامرأة مثلها لها جمالها، واناقتها، وطيبتها التى تبدو عليها دائما.

وحققت الصورة التى رسمتها للبيت عندما دخلته لأول مرة.. فنقلت قطع الاثاث كلا مكان الاخرى.. واشترت أنية للزهر توضع فى هذا الركن، وتمثالا صغيرا يوضع هناك.. ثم خصصت لنفسها غرفة، نقلت اليها من بيتها بعض الاثاث..

وكانت تنفق من النقود التى وجدتها مع الاستاذ، ثم بدأت تنفق من النقود التى معها، ثم بدأت تبيع قطعاً من حليها لتستمر فى الاتفاق دون ان تفكر فى الالتجاء الى عبده بك وطلب معونته..

ولم تكن فى كل ذلك اسعد مما كانت عليه عندما كانت بجانبه وهو فى المستشفى.. سعادة العضوة النشيطة فى احدى الجمعيات الخيرية.. ولم تكن تسائل نفسها عن مصيرها فى هذا البيت، وعن نهاية تماديها فى ربط نفسها بهذا الاستاذ المريض.. وكانت تخاف هذا التساؤل وكانت تتهرب منه.. كانت تغرق نفسها فى هذا البيت وتغلق كل باب يفتحها امامها تساؤلها للهرب منه.. كان يبقياها فيه شئ اقوى منها، وشعور ترتاح اليه حيناً عندما يخيل اليها ان هذا البيت بيتها وهى التى لم يكن لها ابداً بيت هى سيدته، وان هذا الرجل المريض رجلها وهى التى لم يكن لها ابداً رجل تملكه.. ثم تنفر حيناً آخر عندما ترى ان البيت لا يمكن ان يكون بيتها، وان الرجل لا يمكن ان يكون رجلها لانها لا تحبه..

الخيط الرفيع

ومتأمل الاستاذ للشفاء...

وقال لها يوما:

انى ادين لك بحياتى مرتين..

قالت ضاحكة:

انى متنازلة عن الدين.. هاك صك التنازل!

وقبلته على جبينه قبلة جافة سريعة..

قال:

لا اريد ان تتنازلى عن دينك.. اريد ان اكون ملكا لك فريما

تحرصين علىّ، مادمت لا اطمع ان تكونى ملكا لى فاحرص
عليك..

قالت وهى لا تزال تضحك:

انك اتانى.. كيف احرص عليك وانت لا تحرص علىّ؟

قال:

لان لديك ما تشترينى به.. اما انا فلا املك شيئا اشتريك

به.. انى قانع بان اكون عبدا لك..

قالت:

اذن.. خذ الدواء ايها العبد!

وضحكت.. وكأنها سعيدة بأن يكون لها عبد اشترته

بحنانها وطيبتها وشفقتها..

وغادر الاستاذ الفراش.. وبدأ يذهب الى مكتبه..

وحدثها كثيرا عن عمله، وعن مؤهلاته وعن الابحاث التى

اعقدها ان يعدها للشركات الكبيرة..

وبدأت تتدخل فى عمله هذا.. كانت تشجعه، وكانت تبصره،

الخيوط الرفيع

وكانت تدله على الاصدقاء الذين ينفعون، وعلمته كيف يستغل علمه وابحاثه وخلصته من حيائه ومن انطوائه على نفسه، فعرف كيف يتحدث، وكيف يصادق الناس، وكيف يستغل صداقتهم وكيف يرتفع بهم..

ولم يعد العالم المتفرغ لعلمه.. بل أصبح عالما يبيع العلم ويزن سطره بالذهب..

ولم يعد العلم فى نظره مجرد سطور يحشو بها رأسه، بل أصبح شيئا يضعه فى خدمة ذكائه ليحقق به مطامعه.. ولم تعد المبادئ التى قرأها شيئا يؤمن به، بل أصبحت شيئا يستغله ويرتفع به.. ثم عرف ان الطريق الى المجد هو ان تخدم الاشخاص لا ان تخدم المبادئ..

وبدا يرتفع بسرعة.

وحدث كل هذا التطور خلال شهور قليلة.. وكانت دائما معه فى البيت..

كانت تنتظره حتى يعود من عمله فى وزارة الخارجية، ثم تجلس جانبه وهو يعد ابحاثه.. ثم بدأت تبدو معه فى المجتمعات وتدعوه اصدقاءه الى البيت وتنتقى شخصيات كبيرة تتودد اليهم لتجذبهم اليه وتضعه بينهم..

ونظر الناس اليهما فى دهشة.. وتسألا: هل تحبه؟

ولم يصدق أحد انها تحبه..

وقهقه عبده بك عندما رآها معه، ولم يستطع ان يصدق انها تركته وتركت السخاء الذى كان يسبغه عليها، من اجل هذا الشاب الضئيل الهزيل.. وقال ساخرا: انها مجنونة!

اما هما، فلم يشعرا بتساؤل الناس، ولم يشعرا بنفور

الخيطة الرفيع

الجيران منهما، وانقطاعهم عن زيارتهما.. وعندما قررت ان تنتقل الى بيت جديد، لم يكن لهذا الانتقال من سبب الا رغبتها فى ان يكون له بيت أكثر اناقة، وافخم مظهرًا يليق بالنجاح الذى يحرزُه وبالأصدقاء الكبار الذين يترددون عليهما، وبالدخل المالى الواسع الذى بدأ يجنيه من اتصاله بالشركات واعداد البحوث لها..

ولم يكن بينهما حديث عن الحب..

كانت تعرف انه يحبها، وكان يعرف انها لا تحبه.. ولكنه لم يجرؤ على ان يقاتحها مرة اخرى بحبه، حتى لا تهجره كما هجرته فى المرة الأولى، ولم يجرؤ على ان يرفع شفتيه الى شفتيها مكتفيا بقبالاتها السريعة الجافة التى تطبعها على وجنتيه بين حين وآخر..

كانا يقضيان الامسيات الطويلة فى حديث عن الناس وعن الاعمال وعن النجاح الذى يمكن ان يحققه.. وكانت تهوى الاستماع اليه، فحديثه دائما متزن عاقل يفتح امامها ابوابا تجهلها، وكان يهوى الاستماع اليها فحديثها ملىء بالارقام عن ثروات الناس التى لا تزال تعيها منذ كانت موظفة فى بنك باركليز، وملىء بالتجارب العديدة عن اخلاق الكبار والصغار الذين عرفتهم، وملىء بالحرارة التى تدفعه دائما الى الامام.. حرارة لا تنبعث عن ايمان بمبدأ، أو عن ايمان بوطن، ولكن عن ايمان مطلق بالنجاح.. انها لا تؤمن بالنجاح، ومقياس النجاح الوحيد فى نظرها هو مدى الربح المادى الذى يجنى من ورائه.. كان هذا هو كل حديثهما، وكل ما بينهما.. فاذا ما انتهى بهما الليل قامت وانحنى على وجنته تقبله قبلة المساء، وتركته

الخط الرفيع

الى غرفتها..

وكان الامل يتيقظ فى صدره كل مساء، ولكنه تعود كيف يكبته..

وكانت نظرة من التوسل تطوف بعينيه كلما همت بمغادرته، ولكنه تعود كيف يطويها بين جفنيه..

وكانت الذئاب تعوى فى اذنيه احيانا وتمزق اعصابه وتشد لحم بدنه، ولكنه تعود كيف يكتم عواء الذئاب وكيف يضمّد اعصابه، وكيف ينسى لحم بدنه.. كانت تجلس امامه فى ثوب منزلى يكشف عن بعض مفاتنها فلا يرى الا وجهها وكانت تمر امامه وهى خارجة من الحمام ملتفة فى «البرنس» وقد عقدت «البشكير» فوق رأسها، وفحت السخونة من حولها، فلا يرى ايضا الا وجهها..

عوّد نفسه كل ذلك حتى لا يفقدها مرة ثانية، فيفقد معها السعادة التى احاطته بها، والثقة التى تملأ بها نفسه، والحياة التى وهبتها له..

وكان يفرغ طاقته البشرية كلها فى شحذ نكائه للوصول الى النجاح الذى تريده له.. وقد خطا خطوة اخرى كبيرة نحو هذا النجاح..

استقال من الحكومة، والتحق مستشارا لاحدى الشركات الكبرى..

واقامت له الشركة حفلة تكريم بمناسبة تعيينه، دعت اليها اعضاء مجلس الادارة وكبار الموظفين وزوجاتهم وكريماتهم، ودعتها ايضا.. وكانت تدعى الى مثل هذه الحفلات بصفتها الشخصية وباعتبارها صديقة الداعى لا بصفتها صديقة

الخيط الرفيع

المدعو..

وجلس الاستاذ فى صدر المائدة الرئيسية وقد احاط به مكرموه، واحاطت به عيون السيدات والآنسات، تتطلع الى هذا الرأس الكبير، والوجه النحيل، والى هذه الشخصية المتواضعة التى تبدو عليها سيماء العلماء، والتى خطت هذه الخطوات الكبيرة حتى أصبحت شخصية لامعة تتحدث عنها الصحف وتمتدح عبقريتها المجتمعات.

وربما كانت عيون السيدات والآنسات تحيط به لمجرد الاستطلاع.. وربما كانت من بينها عيون تشفق عليه وتشفق على هذا الرأس الكبير بما فيه من اثقال العلم، بل ربما كانت من بينها عيون ترمى حوله شابكا لتصطاده زججا فهو يصلح ليفتح بيتا حتى وان لم يملأه، ويصلح لتستند عليه امرأة حتى ان لم تتباه به.

ثم ان له من نفوذه الذى اكتسبه بصداقاته الناس الكبار، وله من مركزه الاجتماعى والاقتصادى الذى وصل اليه اخيرا ما يعرض المرأة عن ضالة شبابه ونحول مظهره. ولاحظت يولند وهى جالسة بعيدة عنه الى مائدة فى احد الاركان، هذه النظرات التى تحيط به، والتقطت اذناها بعض احاديث النساء التى تدور حوله..

واحست بالضيق يجثم على صدرها..

لماذا ينظرن اليه، هؤلاء النسوة؟ ما لهن وماله؟ هل عرفته من قبل.. هل عرفته عندما كان مريضا مهملا يائسا من حياته ومن مستقبله؟ هل سهرت عليه احداهن كما سهرت هى عليه، هل تحملته احداهن كما تحملته هى؟ هل جريت احداهن شفتيه

الخييط الرفيع

الباهتتين فوق شفيتها؟ هل تعذبت احداهن وهى تحمل جسده
النحيل وعظامه الناتئة فوق جسدها كما تعذبت هى؟!
واشتد بها الضيق، والتفتت اليه فاذا به غارق حتى اذنيه
فى حديث طويل مع جارتة الحسناء.. حديث يتخلله ضحك
ويتخلله همس ويسوده الابتسام..
واحست بلسعة قاسية فوق قلبها كادت تقفز بها من
مكانها.

ما شاء الله!

هل بدأ يغازل.. هذا القزم؟!

وتمنت لو انقضت عليه وضربته فوق رأسه الكبير حتى
يفيق لنفسه ويقطع حديثه مع جارتة الحسناء!
وانتهى الحفل وقد كادت انفاسها تنتهى معه.
وفى الطريق الى المنزل كان سعيدا وكانت شقية لا تدرى
لشقائها سببا الا انها تحاول ان تخفيه بتجاهلها له..
قال لها وقد لاحظ طول صمتها:
لقد كانت حفلة موفقة..
طبعاً!

ان رجال الشركة كرماء..

ان زوجاتهم اكرم!

ان زوجة المدير سيدة كاملة حقاً.. وحديثها ممتع!

لقد لاحظت تمتعك به..

انها دعتنى الى العشاء فى الاسبوع المقبل!

وهنا انفجرت فى وجهه وكأن بركانا ثار فى صدرها:

الخيط الرفيع

اسمع.. اننى لن اسمح لك بمغازلة امرأة فى وجودى سواء
كانت زوجة المدير أو زوجة البواب.. يجب ان تحترم وجودى..
يجب ان تعرف مكانك منى.. يجب ان تتعلم الادب..
انى لم اغازل احدا.. لقد كنت اباذلها الحديث.. هذا هو كل
شئ!

انك كنت تأكلها بعينيك..

وابتسم ابتسامة واسعة وقال وهو يمسك بكفها ويضغط
عليها:

انك تغارين على.. انى سعيد!

وجذبت كفها من كفه فى عنف، وقالت وهى تكاد تصرخ:
اغار عليك انت.. ماذا فيك حتى اغار عليك.. لا ايها
المغرور.. كل ما هنالك انى اعرف ان الرجال كلهم ذئاب، ولم
اكن اتصور انك انت ايضا تستطيع ان تكون ذئبا.
قال وقد سحب ابتسامته وبدأ عليه الغضب:

اننى رجل!

نسيت هذا!

كان يجب ان اذكرك به!

تذكرنى بالرجل، ام تذكرنى بالذئب؟

كليهما..

انى لن اتحملك ذئبا..

لقد قلت ان كل الرجال ذئاب.. فاذا اردتنى رجلا فيجب ان
تتحملينى ذئبا! لقد استغنيت عن كليهما، الرجل والذئب!
وادارت عنه وجهها غاضبة..

الخيوط الرفيع

ووصلا الى البيت، وانصرفت الى حجرتها دون ان تحييه
تحية المساء. وحاولت ان تنام فلم تستطع، وجلست فى فراشها
وفى رأسها زوبعة من الفكر تعصف بعينيها فلا تستقران هل
هى حقا تغار عليه؟

وهل هى تحبه حتى تغار عليه؟

لقد كانت تشفق عليه.. انها تعلم ذلك.. ولكنه الآن لا يثير
الشفقة، وليس فى حاجة الى شفقتها، بعد ان أصبح شخصية
لامعة، له مركزه وله نفوذ وله مال يستطيع - مع بعض التساهل
- ان يشتريها به كما اشتراها من قبله عبده بك.. ثم ان مظهره
وحده لا يكفى لاثارة شفقتها، وقد كان عبده اقبح منه مظهرها
واثقل منه على جسدها، ورغم ذلك لم تكن تشفق عليه..

اذن فليست الشفقة التى تربطها به..

هل هو الحب؟ وهل يمكن ان تحب هذا المخلوق؟

وان كانت تحبه فلماذا تتمنى دائما رجلا آخر.. رجلا كاملا
يملا عينيها ويشبع جسدها؟ ولماذا تندفع الى مقابلة هذا
الشاب الآخر الذى اعتادت ان ترضى به شبابها بين الحين
والحين؟

وان لم تكن تحبه، فما سر هذه اللسعة التى احست بها
عندما رآته يحدث زوجة المدير، وما سر هذا الضيق الذى ملأ
صدرها عندما احاطت به عيون النساء، بل لماذا بقيت فى هذا
البيت حتى اليوم، ولماذا تفتنى نفسها فى تدبير حياته، وتنظيم
شئونه وفى دفعه الى الامام ليحقق اطماعه، ولماذا تحرص على
الا يعرف انها تخونه مع رجل آخر فتتعمد الا تذهب الى هذا
الآخر الا فى اوقات عمله، بل لماذا لم تفكر فى ان تستفيد من

الخيطة الرفيع

عشرته فتستولى على كل دخله وتستنزف نقوده لترسل بها الى عائلتها كما كانت تفعل مع عبده بك؟
انها لا تدري..

لا تدري، لانها لم تتبين الخيط الرفيع.. الرفيع جدا.. الذى يفصل بين الحب وغريزة التملك..

انها تمتلكه، ويجب ان تبقى عليه لنفسها.. يجب ان يكون لها.. هذا الشيء الذى صنعته، هو من حقها وحدها، ولن تستولى عليه امرأة اخرى.. ستقتله او تقتلها قبل ان يفلت من يدها..

هذا النجاح الذى يتمتع به هو نجاحها..
وهذا المركز الذى ارتفع اليه، هو مركزها..
وهذا النفوذ هو نفوذها..

انها تمتلكه كله.. تمتلكه رجلا.. وتمتلكه ذنبا.. ولن يكون ابدا رجلا لامرأة اخرى أو ذنبا لامرأة اخرى!

ووجدت نفسها تنهض من فراشها.. ثم تقف امام المرأة وهى فى ثياب النوم، وتنتظر الى جسدها الشاب، والى قوامها المشقوق كغصن الورد، والى نهديها المطلين فى كبر وتخايل، والى شفتيها اللتين تترقرق فيهما الاحلام.. ثم تنهدت نهدة عميقة كأنها حسرة.

وخرجت حافية القدمين واتجهت الى غرفته تسير فى بطنه وكأنها تسير الى قضاء محتوم..

وفتحت الباب ودخلت..

واغلقت الباب وراءها، وكأنها اغلقت باب الدنيا!

الخيوط الرفيع

(٧)

وسارت بهما الحياة..
ومنحته كل شيء.. خلقت منه الرجل واشبعت
فيه الذئب!

وقد استطاع ان يكون رجلا ناجحا، ولكنه
كان دائما فأرا تتتابه نوبات من الجوع فيخرج من جحره
وينساب بين ذراعيها ليقرض في جسدها باسنانه الرفيعة،
فتسرى فيها قشعريرة باردة، وتشعر كأن امعاءها تكاد تنقلب،
ثم تقسو على نفسها وتحمله صابرة، وتترك له شفتين هربت
منهما الحياة، وجسدا كأنه لوح من الثلج لا يتحرك ولا ينطق
باحساس ما، بينما العرق البارد يتفصد من جبينها كأنه دموع
قلبها..

فاذا ما انزاح من فوق صدرها طغت عليها نوبة من الكره
العنيف..

كرهته.. وكرهت نفسها..
وتضغط الكراهية على اعصابها فتثور وتصرخ في وجهه
لسبب تختلقه، بينما يتكمش على نفسه في ركن من الفراش .

الخيط الرفيع

يسترد انفاسه التى مزقها بين ذراعيها، ويتحمل صراخها فى هدوء وصمت..

ورغم ذلك ظلت تحرص على الاحتفاظ به..
انه ملكها.. هى التى صنعته.. وهى التى صنعت هذا
النجاح الذى يلاقيه..

انه ملكها، ويجب ان يبقى لها حتى لو كرهته فى هذه
الليالى التى يخرج فيها من ثيابه فأرا جائعا ينساب بين
ذراعيها

وقد تمادت فى الحرص عليه حتى أصبحت تسأله عن
الأشخاص الذين قابلهم وتتأكد انه لم يكن بينهم امرأة.

وأصبحت تصر على ان تخرج معه كل مساء، وان تدعى
معه الى كل سهرة، وان تجلس بجانبه فى كل مكان..

وأصبحت تعلن فى محادثتها انه رجلها وانه ملكها،
وتخاطبه بلهجة المالك ولهجة السيدة لرجلها..

وعرفت ان الشركة قد عينت له سكرتيرة وتصورتها
حسنا، فأصرت على ان يطردها ويستبدلها بسكرتير..

والتقيا يوما بزوج وزوجة، وتحادثوا مليا، ثم دعاه الزوج
الى البيت، ووجه الدعوة فى أسلوب يفهم منه انه يدعوه وحده

ولا يدعوها معه.. واحس بالحرص واحست هى بأن كرامتها
اهينت.. كيف يدعونه ولا يدعونها معه وهى التى صنعتها؟

وانتظرت حتى انفردت به وأصرت على ان يرفض الدعوة..
ورفضها..

وكان يعتقد انها تغار عليه، وكان يعتقد ان الغيرة هى اقوى

الخيطة الرفيع

مظاهر الحب.. انها تحبه، والا لما اختارته من دون البشر اجمعين لتكون خليلته.. انها تحبه والا لما وهبته شبابها وایامها وایاليها، وحنن عليه وهو مريض، وارتضته وهو فقير، وتحملته وهو قزم لا يمكن ان تطمع فيه امرأة..

انها تحبه. هكذا كان يعتقد، وهو اعتقاد ملا نفسه بالثقة والزهو، وجعله يتحمل غيرتها عليه سعيدا بها مستسلما لها، كانه دون جوان من واجبه ان يراعى شعور النساء اللاتي يقعن فى غرامه!

ولكن هذه الغيرة اشتدت حتى بدأت تقيد حياته العامة وتؤثر فى عمله، فحاول ان يخفف منها بمناقشتها، ثم بدأ يكذب عليها فاذا ما دعى الى حفلة ادعى انه على موعد خاص بعمل، واذا ما التقى بمجتمع يضم نساء ورجالا اغفل ذكر النساء، ثم بدأ يتحداها ولا يستسلم لاصرارها فتردد تحديه عذبا تصبه على رأسه وتشعل فى البيت جحيما من الكره.

وكان خلال ذلك يرتفع فى خطى سريعة نحو النجاح، فأصبح مستشارا لأكثر من شركة، ثم أصبح مساهما، ثم أصبح عضوا فى مجالس ادارة اربع من هذه الشركات، وأصبح شخصية اقتصادية هامة يتحدث عنها الناس، ثم أصبح قريبا جدا من مقعد الوزارة.

وكان كلما ارتفع احسست به يرتفع عنها ويفلت من بين اصابعها واحسست بعيون النساء تلتف حوله لتغتصبه منها. فتشتد فى الحرص عليه، وتشتد فى محاسبتها وتضييق الخناق عليه.

وذهبا يوما الى احدى الحفلات الخيرية العامة.. وقام

الخيوط الرفيع

يرقص مع فتاة مصرية ابنة احد اصحاب الشركات التى يعمل فيها وطال رقصه معها، وطال الحديث بينهما خلال الرقص، بينما كانت ترقبهما بعينين تندلع منهما النار.. ثم لم تتحمل فانطلقت الى داخل حلقة الرقص، واقتربت منهما ولمست كتف الفتاة باصابعها وقالت وهى تتظاهر بالابتسام:

هل تسمحين.. لابد انه اتعبك، دعينى احمله عنك الى نهاية هذه الرقصة فقد تعودت تحمله!

ونظرت إليها الفتاة فى دهشة ثم انقلبت دهشتها الى ازدياء، ثم تركته لها..

واحترق وجهه النحيل حتى كادت الدماء تصبغ شعر رأسه، وجذبها من ذراعها على قدر ما فيه من قوة وخرج بها.

وعادا الى البيت، وقال بعد ان صمت طول الطريق، وهو يحاول ان يضبط اعصابه الثائرة:

ارجو ان تفهمى اننا لسنا زوجين، وان هناك تقاليد يجب ان تراعيها..

وانفجرت وهى تقهقه فى عصبية:

اخيرا بدأت تتحدث عن التقاليد.. اين كانت التقاليد طوال هذه الاعوام؟

انها دائما قائمة..

ولكنك لم تكن تراها.. ماذا فتح عينيك عليها اليوم؟

المجتمع..

لقد كنا نعيش دائما فى هذا المجتمع..

ولكنه لم يعترف بنا ابداء، وانما كان يكتفى بتجاهلنا..

الخيوط الرفيع

انه مجتمع جبان، تستطيع ان تفرض عليه ارادتك ان كنت
 قويا.. ولكنك اضعف من ان تكون لك ارادة
 انى لا اتسطيع ان افرض على المجتمع خطايى..
 ان هذا المجتمع مجموعة من الخطايا.
 ولكنه يداريها.
 لا يداريها الا الضعفاء..
 انا الآن ضعيف..
 وأنا خطيئتك..
 ان حينا هو خطيئتنا..
 اذن لندع السماء تباركه.. تزوجنى!
 وبهت واضطرب لسانه بين شفتيه وحاول ان يتكلم:
 ولكن.. اتنا..
 وصرخت فى وجهه مقاطعة:
 لا تتكلم والا قتلتك.. انا التى تأبى الزواج منك وليس انت..
 لن اتزوجك ولو عصرت دماءك كلها تحت قدمى..
 انهار تحت قدميها وقال وهو يحاول ان يمسك بكفها،
 وعيناه تتوسلان إليها:
 لا تحطى كل شىء.. انى احبك وقد خلقت من هذا الحب
 انسانا يشعر بالحياة ويستطيع ان يعمل وان ينجح، ومن اجل
 هذا الانسان الذى خلقته اطالك بان تصونيه وان تدارى
 خطيئته..
 وأنا.. ما نصيبي؟
 انت ربى، والرب يعطى ولا يأخذ، ويكفيه عبادة خلقه، وأنا

الخط الرفيع

اعبدك..

ان الرب يطالب الناس بان يعبدوه جهرا، وانت تعبدنى سرا!

ان العبادة فى السر هى اقرب العبادات الى الله.. هى التصوف وقد تصوفت فى حبك!

ان العبادة ليست خطيئة، وانت تعتبر حبك لى خطيئة..

لست أنا، ولكنه المجتمع.. انه مجتمع من الكافرين، وأنا الوحيد المؤمن بك.. برى!

كن نبيا وانشر دعوتك بين الناس حتى يؤمنوا بحبنا..

انى اضعف من ان اكون نبيا..

ومن قال لك انى استطيع ان اكون ربا؟

لقد اعدت لى الحياة مرتين، وخلقت منى.. من هذا القزم.. عملاقا قويا، ولا يستطيع كل ذلك الا إله..

ان الإله الذى يستطيع ان يخلق، يستطيع ايضا ان يميت؟

وازاحته من تحت قدميها وهبت من على مقعدها غاضبة، ودخلت الى حجرتها وشفقت الباب وراءها، وتركته منكفئا على الارض، يريد ان يبكى فتتخلى عنه دموعه، يريد ان يهرب من هذا البيت فتتخلى عنه ساقاه، ويريد ان يحطم هذا الباب الذى صنفته وراءها لتتخلى عنه ذراعاها.

وجلس فوق فراشها وقد عقدت ذراعيها حول ركبتيها، كما اعتادت ان تجلس دائما عندما تثور زويدة فى رأسها..

ماذا تريد منه؟

انها قطعاً لا تريد ان تتزوجه، وقد كانت صادقة عندما قالت

الخيوط الرفيع

له انها لن تتزوجه ولو عصر دماءه تحت قدميها، فهي رغم كل ما مر بها من صنوف الحياة لا تزال تؤمن بقدسية الزواج، ولا تزال تحترم شعائره، ولا يزال فيها شيء من طهارة الحياة الزوجية التي جمعت بين ابيها وامها وتربت في ظلالها، ولا تزال تعتقد ان الزوج يجب ان يكون آخر رجل في حياة المرأة.. وهذا الرجل لا يمكن ان يكون آخر رجل في حياتها، بل انه لم يستطع ان يملأ حياتها في يوم من الايام، وكانت دائما في حاجة الى رجل آخر يشبع شبابها المحروم ويعيد الحياة الى الجسد الذي يبرد ويتثلج تحت انفاس هذا الفأر الذي ينساب بين ذراعيها..

اذن، ماذا تريد منه؟

انها لا تدري، لانها لا تستطيع ان تغوص الى قرارة نفسها، أو هي تخاف ان تواجه نفسها حتى لا ترى شياطين الجشع والانانية تتراقص فوق اعصابها، وحتى لا ترى بشاعة ما تريد..

انها تريد ان تمتلكه حتى لو لم تحبه..

تريد ان تمتلكه حتى لو خانته مع رجل آخر..

تريد ان تستعبده.. ان تكون اقوى منه الى حد ان يثير شفقتها عليه، ويحرك فيها طيبة قلبها، فتزهو بهذه الشفقة وتختال بطيبة قلبها..

وهي تحس ان نجاحه في الحياة قد جعله اقوى منها، وانه لم يعد في حاجة الى شفقتها ولا الى طيبتها، تحس انه قد أصبح المالك وهي المملوك..

وهي لن تصدق هذه الكلمات التي يقولها لها ليبقيها الى

الخييط الرفيع

جانبه.. لقد بدأ يقلت من بين اصابعها، وبدأ يعتبرها خطيئة
فى حياته، وبدأ يداريها عن الناس، وبدأ يخجل منها امام
المجتمع.. كل ذلك لانه أصبح عضوا بارزا فى الشركات، فماذا
يمكن ان يحدث لو أصبح وزيرا؟

لا.. لن يصبح وزيرا!

ولن يبقى عضوا بارزا فى الشركات!

يجب ان تحطمه وان تعيده كومة من العظام المهملة تذوب
فى حبها، حتى تشعر بحاجته اليها، وحتى يثير شفقتها وطيبة
قلبيها..

لم كل ذلك، وهى لا تحبه؟

انها غريزة التملك.. الغريزة البشعة السوداء!

وخيل اليها انها قررت شيئا!

ثم اغمضت عينيها تحاول ان تنام وقد جثم فوق صدرها
كابوس تمتد منه ايد ضخمة متوحشة تمزق لحمها، فتحاول ان
تصرخ فيخثنق الصراخ فى حلقها..



واستيقظت فى اليوم التالى مصفرة الوجه وقد ثقلت
جفونها حتى لم تعد تقوى على حمل رموش عينيها..
وكان قد سبقها الى مائدة الافطار، وكان اسوأ منها حالا..
كان الليل قد ترك حول عينيها سواده، وامتص الآرق وجهه حتى
لم يعد فيه إلا عظام..

وابتسمت ابتسامة باهتة، وقالت فى صوت خافت:

انى آسفة.. لقد أخطأت ليلة أمس!!

الخيوط الرفيع

وأشرق وجهه مرة أخرى كأنه أضى بزر كهربائي، وقام
وامسك بكتفيها وابتسامته تكاد تبتلع وجهه، وصاح فى مرج:
صحيح.. كان هذا آخر ما انتظره منك هذا الصباح.. انها
أجمل تحية الصباح تلقيتها فى حياتى..
وانحنى عليها يقبلها فأعطته خدا باردا يطوف عليه بشفتيه،
وقالت وصوتها لا يزال خافتا:
لقد فكرت طويلا.. وقررت الا ابدو معك فى المجتمعات فهذا
خير لك ولعملك.. وسأكتفى بانتظارك دائما!
وضمها الى صدره فى حنان عجيب، وقال وهو يمسح
وجهه بشعرها كأنه مؤمن يمسح يده فى استار الكعبة:
لن تحتاجى لانتظارى، فسأكون دائما بجانبك.. لن يكون
لهذه المجتمعات منى سوى ساعات تغتصبها رغما عنى..
قالت فى دلال وهى تعبت باصابعها فى ازرار سترته:
ولكن لى شرط واحد..
كل الشروط لك..
ان تصحبنى الى السينما كل اسبوع..
سأصحبك الى كل مكان فى الدنيا، سأخلق عالما لنا وحدنا
نحن الاثنين..
لقد قلت لى امس اننى انا الرب الذى يخلق لا انت؟
انت الرب الذى يأمر، فأخلق له..
اذن انت جبريل!
وضحكا كثيرا وتناولوا فطورهما فى مرج، ثم هم بمغادرة
الدار فاستوقفته وانحنى على جبينه قبله، وقالت وهى لا تزال

الخيط الرفيع

تلقه بذراعيها:

هل يستطيع الرب ان يأمر الآن؟

مرى..

انى فى حاجة الى قراء شهادته امس عند «سبستفارس»

ولم استطع من ساعتها ان انساه..

سيكون لك..

انه «فيزون» واخشى ان يكون ثمنه خمسمائة جنيه!

وتوقف قليلا عن الرد، وضاحت ابتسامته.. ثم قال وقد فقد

بعض حماسه:

كل ما استطيعه فهو لك..

وخرج..

ولم تكن المسائل المالية موضوع نقاش بينهما ابدا.. كانت

تعلم مقدار دخله، وكان لا يخفى عنها قرشا يصل الى جيبه،

وكانت دائما تأخذ ما تريد وتترك له الباقي ليحتفظ به فى

رصيده، حتى استطاع بهذا الرصيد ان يشتري الاسهم التى

يشترط ان يملكها ليكون عضوا فى مجالس ادارة الشركات..

كانت تأخذ دائما ما تريد، ولكنها لم ترد ابدا خمسمائة جنيه

مرة واحدة، ولم ترد ابدا قراء، وانما كانت معتدلة فى مطالبها،

بل انه كان يتهمها احيانا بالتقتير على نفسها لتزيد من

رصيده.. فماذا حدث؟

ولم يطل تفكيره.. واعتبرها نزوة من نزوات النساء،

واشتري لها الفراء.

ولكنها لم تكن آخر نزوة..

الخيط الرفيع

لقد بدأت تثقله بمطالبها ومطالب عائلتها.. مطالب كبيرة مغالى فيها.. وكان يدفع صامتا، ثم بدأ يدفع متبرما. ثم بدأ يعترض، وقال لها يوما فى رجاء:

يجب ان نحسب حساب المستقبل، اننا ننفق كثيرا! ونظرت فى عينيه برهة ثم اجهشت بالبكاء، وقالت من خلال دموعها:

انك الآن تبخل علىّ.. انك لم تعد تحبنى.. لم اعد ريك الذى يأمرك فتخلق له..

اننى لا ابخل، ولكنى لا اريد ان اسرف.. ورفعت رأسها متحدية:

انك تحسب حساب المستقبل وتنسى الماضى.. تنسى الايام التى كنت ابيع فيها قطعا من مصاغى لادفع لك اجر الطبيب وثمان الدواء.. لقد كنت مسرفة ايامها ولم تعترض على اسرافى!

انى لم انس شيئا.. وقد قلت لك ان كل ما املك هو لك والمستقبل الذى افكر فيه هو مستقبلنا نحن الاثنين..

ان المستقبل لك وحدك، اما أنا فليس لى منك الا يومى! وسكت..

وبدأ يدفع من جديد..

وكانت قد امتنعت عن الاختلاط باصدقائه وبالشخصيات الكبيرة التى تتصل بعمله، كما امتنعت عن دعوتهم الى المنزل، حتى تصون وعدها له بالآ تبدو معه فى المجتمعات، ولكنها بدأت تجمع لنفسها اصدقاء جددا.. فكان يعود الى البيت ليجد

الخييط الرفيع

فيه شبانا وفتيات من الارمن واليونانيين والطلبان، وليس بينهم شخصية ذات قيمة.. بل كلهم من الافاقين نهازي الفرص الذين ينتشرون فى النوادى الكبرى فى انتظار صيد جديد.. وكانت تقدمهم اليه فيجلس بينهم لا يتمتع بهم ولا يتمتعون به، ويشمئز منهم ويشمئزون منه وان داروا اشمئزازهم وراء ستار كثيف من النفاق..

وكانت لا تصحبه الى الحفلات التى يدعى اليها، ولكنها كانت تقيم فى البيت حفلات تدعو اليها هؤلاء الافاقين، حفلا فاجرة خلية، حاول ان يجاريها فلم يستطع، وحاول ان يسكت عليها فلم يستطع ايضا..

وبدأت تشرب كثيرا وتدفعه الى الشرب معها.. ولكنه لم يكن يزيد ابدا عن كأس أو كأسين.. لقد افرط فى الشراب يوما عندما كان يشعر بالنقص الذى ابتلاه به الله، عندما كان يشعر بانه قزم مشوه لا امل له فيها، وكان ايامها يشرب لينتحر، اما اليوم فهو لا يريد ان ينتحر، فقد اصبحت له، وامامه مستقبل صمم على ان يصل فيه الى نهايته، فلماذا ينتحر؟ وأصبحت تشرب وحدها..

وعندما تشرب تسلط عليه سياطا من عذاب.. كانت تنهكم عليه، ثم بدأت تعيره بشكله وقصره ورأسه الكبير ووجهه النحيل وشفتيه الباهتتين.

وكان فى الماضى يكفى ان ينظر فى المرأة ليكفر بالله ويقرر ان يقتل هذا القزم الذى يتعذب، ولكنه اليوم وهى تعاييره وتنهكم عليه لا يكفر بالله ولا يفكر فى قتل نفسه.. وقد يتألم ولكن ليس الى الحد الذى يقضى عليه.. انه الآن يشعر بقوة

الخيطة الرفيع

تعيّنه على نقصه، قوة يستمدّها من نجاحه فى عمله، ومن المجد الذى وصل اليه، ومن المستقبل الذى ينتظره.. انه يريد ان يصبح وزيرا أو شيئا كالوزير، ويومها سيصبح اقوى من جميع العمالقة، واقوى من جميع الاقوياء، وسيتحرر نهائيا من هذا الضعف الذى يشعر به كلما خاف ان يفقد المرأة التى يحبها..

وكانت قد حرمته من جسدها، لم يعد له حق فى فراشها، وكان يكفى ان يقترب منها فتصرخ فى وجهه ان كانت سكرى حتى لو كان يسعى الى مجرد قبلة، وتبعده فى تبرم ان لم تكن سكرى، حتى لو لم يرد أكثر من ضمها الى صدره الذى مزقه الشوق..

وكانت فى كل ذلك تراقبه وهو يتحطم ويعود كومة من العظام تستجدى شفقتها وطيبة قلبها..

ولكنه لم يتحطم، بل اخذ يزداد بعدا عنها. لم يعد يحدثها عن يومه، ولا عن عمله، ولا عن الناس الذين يصادفهم ولم يعد يطلعها على دخله والارياح التى يجنيها من شركاتها.. أصبحا غريبين فى البيت لا يربط بينهما سوى الخيط الرفيع الذى يفصل بين الحب وغريزة التملك..

كل ما شعر به، هو انه يعيش فى دوار مستمر يصاحبه فى ليله ونهاره، وقد كاد هذا الدوار يؤثر على عمله وعلى مستقبله، ويدفع به الى الجنون، ولكنه قاوم.. وقاوم بشدة ويقسوة على نفسه..

واشتد به الدوار يوما عندما دخل البيت فوجد بين اصدقائها هذا الشاب الوسيم المتسق العضلات الذى شاهدها

الخيوط الرفيع

معه مرة - قبل ان تعرفه - وهى تكاد تنطبع فوق صدره.. والذى
اثار فيه شعوره بالنقص الى حد ان حطم المرأة التى رأى فيها
نفسه..

ثم عاد الدوار يشتد عندما ذهب معها الى السينما فوجد
هذا الشاب مدعوا معها.. ثم وجده معهما فى ساعة الغداء..
لقد تحمل الكثير.. انه يكاد يجن.. يكاد يتحطم..
وجمع اعصابه ووضعها فى قبضته، وقال لها فى هدوء،
وقد انفردا لحظات قبل ان يذهب كل منهما الى فراشه:
لى رجاء..

قل..

هذا الشاب، انى لا اطيعه..

انه صديقى..

لن يضيرك ان تستغنى عن صداقته..

وصرخت..

لا تكن انانيا الى هذا الحد.. هل طلبت منك ان تستغنى عن
اصدقائك؟.. لقد تركتهم جميعا لاجلك..

انى فى حاجة الى اصدقائى، ولكنك لست فى حاجة الى
هذا الشاب!

وابتسمت ابتسامة ذات معنى وقالت وهى تغمز بعينيها:

من ادراك انى لست فى حاجة اليه!

وفهم، وتحامل على نفسه، وقال وهو لا يزال محتفظا
بهدوئه:

لقد اعتقدت يوما انى استطيع ان اغنيك عن كل الاصدقاء..

الخيوط الرفيع

وأنا أيضا اعتقدت انى اغنيك عن اصدقائك، بل وعن
مستقبلك..

ارجوك، لا تقطعى كل الخيوط.. انى لا ازال احبك..

وهل منعك من حبي!

لم يكن هذا هو حال حينا..

لا تقل حينا، قل «حبي» فقط!

واسقط رأسه فوق صدره، ودف الى حجرته وهو يجز

قدميه فى يأس دون ان يحييها تحية المساء..

وعرف ليلتها انه لم يعد امامه الا طريقان: اما ان يحطم

نفسه ومستقبله ويجرى وراء حبه، واما ان يحطم حبه ويجرى

وراء نفسه ومستقبله..

الخيطة الرفيع

(٨)

هل يحطم حبه فى سبيل نفسه وفى سبيل
مستقبله؟
هل يهجرها؟
وهل يستطيع ان يعيش بدونها؟

هل يترك كل هذه الدنيا التى اقامتها له ليدور فى الفضاء
مشردا شقيا وبين جنبه قلب محطم، وبين شفثيه انقاس
ممزقة. وبين عينيه اطياف من ذكرياته تقض مضجعه وتمشى
فوق اعصابه؟

هل يستطيع ان يقف على قدميه دون ان يستند عليها، هل
يظل محتفظا بثقته فى نفسه يوم يجد نفسه وحيدا بعيدا عنها،
هل يظل ناسيا انه قزم نحيل كبير الرأس بارز العظام، يوم
تتركه وحده بين عيون النساء ليرى ما فيها من رثاء على حاله؟
ام يبقى بجانبها ويتركها تحطمه وتحطم مستقبله وينقاد
لنزواتها حتى يعود كومة من العظام المريضة لا امل له الا فى
شفقتها عليه، وفى قبلة تحنو عليه بها، وفى ابتسامة تضمه بين
ثناياها ..

الخيوط الرفيع

هل يبيع هذا المستقبل الزاهر الذى كاد ان يصل الى قمته، من اجل حبه، هل يبيع هذا النفوذ الواسع وهذا المجتمع الذى يحتفى به وهذه الشركات الرباحة فى سبيل بقائه بجانبها؟

وقد ظل امسيات طويلة لا يدري.. امسيات يتقلب فيها على اشواك السهد والارق يكاد يقسم خلالها ان يهجر البيت الذى يتعذب فيه، فاذا به يتذكر لحظات الحنان التى ضمته فيها بين احضانها، ويتذكر جسدها الشاب الذى يضمه فراش فى الحجرة المجاورة ولا يفصله عنه الا هذا الجدار، ويتذكر الايام التى قضتها تنفخ فيه الروح وتملأه بالثقة فى نفسه وتدفعه نحو المستقبل وتجمع من حوله الاصدقاء الذين نفعوه وارشدوه الى الطريق.. يتذكر كل ذلك فيكاد يقسم ان يبقى بجانبها العمر كله ولو طالبتة بنبضات قلبه واستنزفت منه آخر قطرة فى دمائه.. ولكنه يعود فيتذكر الحفلات الماجنة التى تقيمها فى بيته والشباب الوسيم المتسق العضلات الذى تلتصق حتى تكاد تنطبع على صدره، والمطالب المالية المفتعلة التى اخذت اخيرا تثقل بها عليه حتى كادت تأتى على آخر قرش فى رصيده، ويتذكر همسات المجتمع حولهما، وتلميحات اصدقائه الكبار أكثر من مرة حول علاقته بها، ويتذكر كيف تحاول ان تنزعه من عمله وتنزله من المكاة التى ارتفع إليها لتبقيه تحت قدميها، ويتذكر كيف تعودت ان تهينه، وان تحتقره وان تعيره بشكله وضعفه، وان تصفعه بتصرفاتها الشاذة.. يتذكر كل ذلك فتثور فى نفسه زوبعة من الحقد والرغبة فى الانتقام ويتصور نفسه يقتلها، ويحرق جثتها، بل يتمادى فى خياله الاسود حتى يتصور سكيناً فى يده يقطع بها مواضع الحسن من جسدها

الخيط الرفيع

حتى لا تكون لرجل آخر، ويتصور بعد ذلك كيف يخفى جريمته وكيف يضلل البوليس والمحققين، ثم ترتفع قبضته الهزيلة ويهوى بها على الوسادة وكأنه يطعن صدرها، أو كأنه يطعن خياله، أو كأنه يطعن الدنيا لينتقم من عذابه فيها.. ثم يفيق من لوثته ويستجمع ارادته ويقرر من جديد ان يهجرها ويضحي بحبه فى سبيل الابقاء على كيانه.

وامتصت هذه الامسيات المسهدة دماءه، فبدا أكثر اصفرارا، واشد هزالا، والتصق جلده فوق عظامه حتى أصبح هيكلًا فارغا منفرا، وكبر حجم رأسه حتى لم يعد عنقه المفتول يقوى على حمله، وانكمش وجهه حتى سقطت نظارته فوق أنفه فبدا كأحد كتبة «العرضحال» المصدورين الذين يقفون على ابواب المحاكم الارياف، لا يميزه عنهم الا عينان يقظتان هستيريتان لا تستريحان ابدا ولا تستقران فى اتجاه واحد.

وكان يذهب إلى عمله ويجلس إلى مكتبه، فلا يحس بتعب. فقد كان عذابه اقوى من التعب، ولكنه كان يستجمع ارادته حتى يحول هذا العذاب الى عمل والى ارقام يدرسها ويمحصها ثم يحولها الى نتائج باهرة مريحة.

ان هذا العذاب والأكلم استطاع ان يعتصر عبقرية جديدة فى عالم الاقتصاد وفى دنيا الشركات، أصبحت حديث الناس، وحديث مصر، وحديث العالم اجمع، وارتفعت به الى قمة لم يكن يحلم بها، ولم يحلم بها شاب مصرى فى سنة.

وكان كلما اشتد عذابه، وطالت به الامسيات المسهدة، ازداد انكبابا على عمله محاولا ان ينسى.. وقد اكتشف انه يحب عمله، وان هذا الحب هو الشئ الوحيد الذى يستطيع ان يقاوم

الخيوط الرفيع

به المرأة التى هلك فى حبها.

وكان يعرف مدى الخطوات الواسعة التى يخطوها ويعرف انه اصبح يجلس على عرش عبقرى من عروش الاقتصار والسياسة، لكنه كان يعرف ولا يحس، ولم يستطع ان يزهر بهذا المجد الذى وصل إليه، ولم يشعر بالسعادة التى ينتشى بها كل شاب ناجح موفق، ولم يدرك انه أصبح محسودا من الناس، ولم يشعر بالتعالى ولا بالعظمة التى يشعر بها المحسودون.

كان دائما معذبا يقطع صدره الألم، وكان يعمل وينهك ذهنه، لا للمجد ولا للنجاح بل فقط لينسى عذابه وهذا الألم. وكان يزداد نفورا من الناس، وكلما ازداد نفورا سعوا وراءه وازدادوا تقريبا منه.. وكان يزداد تعمقا فى الصمت، وكلما تعمق فى صمته كلما توهم الناس انه يخفى جوانب شاسعة من عبقريته..

وأصبح ترشيحه للوزارة بعد ذلك امرا طبيعيا، وأصبح ضمه إلى كل هيئة رسمية تتولى امرا خطيرا من شئون الدولة امرا محتما، بل ان من الناس من كاد يرشحه - رغم صغر سنه - رئيسا للوزارة.

وكان يعود إلى البيت فيجدها دائما فى انتظاره. كانت تستقبله دائما فى برود، ودائما تحييه تحية فاترة مبتورة، ودائما تلقى اليه بوجه عابس، فاذا ابتسمت له تعمدت ان تكون ابتسامة هزء وزراية. ولكنها كانت دائما تنتظره.. بل لم يكن لها شاغل الا انتظاره، ولم تكن تهدأ وتستقر الا عندما يعود..

الخيوط الرفيع

كان كلما خرج احسنت انها فقدته، فتقضى ساعات تحاول ان تلهو فيغلب حقدتها لهوها، وتحاول ان تغرق نفسها فى كؤس فينسكب الكؤس غيظا يحرق صدرها، وتحاول ان تنسى بين احضان رجل آخر فاذا بزوابع سوداء تلف رأسها وتطير به بعيدا عن جسدها.

انها تحقد عليه.. تغتاض منه.. وتتمنى لو فتقت عظامه الهشة بين اصابعها وداستها باقدامها.

كيف يتركها.. كيف يتعالى عليها.. كيف لا يشركها فى هذا المجد الذى وصل إليه.. انه صنيعه يدها.. انه ملكها..

فاذا ما عاد صبت غيظها وحقدتها فى سياط تطلقها عليه.. فتحاول دائما ان تقنعه بأنه حقير، وانه قزم، وانه اقله من ان يصل إليها.. ثم تحاول ان تعذبه بفتنتها فتكشف له عن جسد تحرمه منه، وتذكره بحنان لم يعد له منه نصيب، وتشعل لهب الغيرة فى صدره عندما تدعو فى بيته رجالا تميل عليهم وتضحك معهم وتتبادل فى صحبتهم رشقات الكؤوس.

ولم تكن تتمنى الا ان تراه تحت قدميها نليلا مسكينا يسألها الرحمة ويستشير شفقتها، ويحرك فيها طيبة قلبها.. ولكنه لم يفعل..

لم يقع تحت اقدامها.. كانت ترى سطور العذاب على وجهه وترى الجهد الذى يبذله فى مقاومتها ومقاومة عذابه.

وكانت تنتظر اليوم الذى تنهار فيه هذه المقاومة.. ولم يأت هذا اليوم..

الخيوط الرفيع

وانما عاد فى احدى الليالى، وكانت تقيم حفلة من حفلاتها
الماجنة، وفتح الباب بمفتاحه الخاص، واطل برأسه فاستقبلته
رائحة الدخان المشبع بابخرة الخمر، ودار بعينه، فوجدها بين
احضان الشاب الوسيم المتسق العضلات وقد اخفت شفقتها
بين شفقيته..

ولم يدخل.. وسحب رأسه من بين ضلقتى الباب، وعاد الى
الطريق..

وقال لها بعض مدعوياها:

لقد جاء الاستاذ ولم يدخل..

وابتسمت ابتسامة الواصل وقالت فى تأكيد:

سيعود..

ولكنه لم يعد..

وانتهت الحفلة، وانصرف المدعوون وانصرف معهم الشاب
الوسيم المتسق العضلات، ولكن الاستاذ لم يعد.

وجلست وحيدة والكأس فى يدها..

انها الليلة الاولى التى لا يعود فيها..

المررة الاولى التى يفلت فيها من بين اصابعها..

وحملت فى الكأس تستعرض على صفحتها صورا من
ايامها معه.. ايام كان يتبعها كالكلب الذليل وفى عينيه عبادة
صامتة.. ويوم ناولته الكأس الاولى ليغرق نفسه فيها.. ويوم
استبدت به الخمر فخرج يترنج حتى صدمته سيارة.. ويوم
ذهبت إليه فى المستشفى ليبيح لها بحبه فخفق قلبها شفقة
عليه ورثاء له.. ثم كيف تمادت فى شفقتها حتى تركته يقبلها

الخيطة الرفيع

ويلصق شفتيه الباهتتين فوق شفتيها، ثم تمارت أكثر فحملته فوق جسدها وتركته ينساب بين ذراعيها كفأر جائع.. ثم استعبدتها الشفقة فعاشت معه وتركت الدنيا كلها من أجله لترد له الحياه وتنفخ فيه الروح وتدفعه في عمله الى قمة النجاح.. ثم كيف بدأ يرتفع عنها، وبدأ يدارى حبه لها ويخجل منه امام الناس ويعتبره خطيئة لا يستطيع ان يواجه بها المجتمع.. ثم كيف حاولت بعد ذلك ان تحطمه ليعود ذليلاً ضعيفاً يرجو حنانها ويستثير طيبة قلبها، فتملكه بهذا الحنان وتشتريه بهذه الطيبة.

وانسابت دموعها في صمت فوق وجنتيها، ثم انحدرت حتى سقطت في الكأس.. فاهتزت صور الماضي فوق صفحتها.

لماذا لا تتركه يذهب فتستريح منه؟!

ولكن لا.. انه ثمن هذه الايام التي قضتها معه، انه ثمن هذا النجاح الذي خلقتة منه، انه ثمن هذا العذاب الذي تعذبته عندما كان يكتم شفتيها بشفتيه الكريهتين، انه ثمن من حقها ان تتقاضاه ومن حقها ان يكون لها وحدها، ومن حقها ان تضعه دائماً في رصيدها حتى ولو ضيعته.

واجتاحها ثورة، وشربت الكأس، وشربت دموعها فيها..

اين هو الآن؟

وتمنت لو انه مات حتى تبكيه شفقة عليه، وتمنت لو ان سيارة صدمته ونقل إلى المستشفى حتى يحتاج إليها من جديد.

ولم تنم..

وفى الصباح دقت التليفون في مكتبه فرد عليها، وقالت بعد

الخيوط الرفيع

برهة صمت:

حسبتك مت..

انى اموت كل يوم وكل ساعة اقضيها بعيدا عنك..

لماذا لم تعد الى دنيا الاحياء؟

لم يعد لى امل فيها .. لقد قررت الانتحارا

سأرسل زهورا إلى قبرك!

ارجو قبل ان ترسلنى الزهور ان تبعثى باكفانى.. اقصد

ثيابى!

ستصلك..

والقت سماعة التليفون فى وجهه، وصرخت بينها وبين

نفسها ماذا يريد هذا الوغد.. هل كان ينتظر ان اتوصل إليه

حتى يعود.. هذا الحقير.. هذا القزم؟!

واندفعت الى غرفته، وفتحت خزانته واخرجت ثيابه، ثم

اخذت تمزقها قطعة قطعة.. تمزقها بيديها واسنانها، وكأنها

تمزق الشفقة التى دفعتها إليه، وتمزق طيبة القلب التى جمعتها

به فى بيت واحد، وتمزقه هو.. القزم الذى استطاعت الشفقة

والطيبة ان تخلق منه عملاقا يتمرّد عليها.

وجمعت الثياب الممزقة فى حقيبة وارسلتها إليه فى مكتبه

مع الخادم..

واستراحت.. وخيل إليها انها استراحت من عمرها كله.

ودق جرس التليفون فى بيتها، وكان يتكلم فى صوت

ضعيف تكاد تغطي عليه نبضات قلبه:

يجب ان اقول لك انى لازلت مسئولا عنك.. ستصلك النقود

الخيط الرفيع

التي تريدونها ...
 وقاطعته صارخة:
 يا كلب.. انا التي جعلت لك هذه النقود، ولن اقبلها منك،
 انها صدقة منى اليك..
 ارجو ان تفهمينى.. انى احبك.. وانت تعلمين!
 انى لا اريد حبك ولا اريدك.. لقد كنت اشفق عليك ولم تعد
 تستحق حتى الشفقة!
 لقد كنت لى..
 انت الذى كنت لى وقد صنعتك انسانا بعد ان كنت مسخا..
 ولم أكن لك ابدا.. انت واهم.. لن تكون لك ابدا امرأة!
 والقت فى وجهة سماعة التليفون مرة اخرى..
 وتركته والسماعة معلقة فى يده وقد جف كل شئ فيه حتى
 دموعه.. وامتلات أذناه بطنين مخيف يردد على مسمعيه: لن
 تكون لك ابدا امرأة.
 وأحس بنفسه يهوى.. ثم يهوى حتى يصل الى الحضيض..
 أحس بمكتبه الفخم يختفى من امام عينيه، وأحس بالاوراق
 تختلط ببعضها حتى تصبح خيوطا سوداء تلتف حول عنقه.
 وأحس كأنه فى ذلك اليوم الذى خرج فيه مترنحا فصدته
 سيارة وألقت به فى الطين..
 وسقطت السماعة من يده.. وسقط رأسه فوق صدره..
 وسقطت جفونه فوق عينيه، وسقطت الحياة من فوق وجهه.
 ودخل سكرتيه فارتاع لمنظره وصرخ وهو يهزه من كتفه:
 - يا استاذ.. يا استاذ..

الخيطة الرفيع

وفتح جفنيه فى بطنه وكأنه يصحو داخل قبر، وقال فى ضعف:

- لا شىء.. انى متعب.. سأعود لأستريح..

واستراح.. اياما طويلة.. استراح على فراش من العذاب.. ثم عاد الى عمله.. وكان يعمل وكأنه يحاول الانتحار.. لم يكن يكف عن العمل.. وكان يزداد نحولا واصفرارا.. وكان ينفر دائما من الناس، ويصمت دائما عن الحديث.. ولم يستطيع ان يرفع عينيه الى امرأة.

وعرف عنه انه عبقري شاذ..

ولم يعرف عنه احد انه كتلة حية من العذاب.. ولن يصدق احد انه يتعذب من اجل امرأة احبها وضمن بنفسه وكرامته ومستقبله عليها، امرأة لم تستطع ان تسعده لأنه لم تحبه وانما فقط ارادت ان تمتلكه، ولن يصدق احد انه فى ليال كثيرة يشتد به العذاب فيسحب اليه حقيبة كبيرة ويخرج منها قطعاً من الثياب الممزقة يبكي فوقها.

ان الناس كلها تعرفه.. وترى صورته وتقرأ ابحاثه فى الصحف.. وسيصبح اكبر مما هو، وسيكون حتما وزيرا.. ولكن احدا لا يدري انه يبيع كل ذلك لو وجد امرأة تحبه، يبيعه ليصبح رجلا كاملا وسيما متنسق العضلات يستحق الحب.. اما هى..

فقد عادت الى عبده بك اياما ولكنها لم تحتمله ولم يحتملها.. فتركته الى رجل آخر.. والى آخر.. اخذت تهوى من رجل الى رجل حتى اصبحت محترقة رجال لا تبقى على واحد منهم اكثر من ليلة..

الخيطة الرفيع

لقد فقدت قلبها، وفقدت اعصابها، وفقدت اتزانها.. انها تريد رجلا تملكه، وإن تكون ابدا لرجل يمتلكها ما دامت لا تحبه.. وهى تريد ان تملك هذا الرجل بالذات الذى صنعته من شفقتها وطيبتها وجعلت منه عملاقا افلت من يديها..

انها لا تزال تنتظر اليوم الذى يعود اليها فيه زاحفا على ركبتيه.. ولا تزال تمزق كل جريدة ترى فيها صورته.. ولا تزال تتمنى له ان يموت قبل ان يكون لغيرها.. انها تتعذب، ولا تدرى سر عذابها.

كل منهما لا يدري..

لأن احدا منهما لم يستطع ان يرى الخيط الرفيع.. الرفيع جدا.. الذى يفصل بين الحب وغريزة التملك..

عاطفة الحب التى تسمو بك مرتبة الملائكة..

وغريزة التملك التى تنحط بك الى مرتبة الحيوان..

الحب الذى يدفعك الى ان تضحي بنفسك فى سبيل من تحب، وغريزة التملك التى تدفعك الى ان تضحي بمن تحب فى سبيل نفسك..

الحب الذى يدفعك لأن تغار على من تحب.. على سعادته وراحته وسلامته..

والتملك الذى يدفعك لأن تغار لنفسك.. لسعادتك وراحتك وسلامتك..

الحب.. العطاء، السخاء..

والتملك.. الأخذ، الأنانية..

والناس كلهم لا يرون هذا الخيط الرفيع.. وإلا لعرفوا لماذا

الخيوط الرفيع

تخون هذه الزوجة التى تبدو سعيدة بزوجها وبيتها واولادها..
لماذا تخون زوجها وقد وفر لها الشباب والمركز الاجتماعى
وضمن لها المستقبل؟!..

ولماذا يخون هذا الزوج زوجته.. وقد وفرت له الشباب
والجمال والبيت السعيد وحسده عليها الجميع؟!..

ولماذا يحرص الزوج الخائن على زوجته الى حد ان يقتلها،
ولماذا تحرص الزوجة الخائنة على زوجها الى حد ان تقتله؟!..

ثم لماذا فى هذه القصة يتعذب الفتى وقد كان يستطيع ان
يكون بجانب المرأة التى احبها لو ضحى بالمجتمع وبيع
مستقبله فى سبيلها، ولماذا تتعذب المرأة وكانت تستطيع ان
تبقى له او ضحت بأنانيتها فى سبيل مستقبله وسعادته..

انها غريزة التملك..

الغريزة البشعة التى يفصل بينها وبين عاطفة الحب
السامية، خيط رفيع.. رفيع جدا!!!..

«انتهت»

الخيط الرفيع

رقم الايداع: ٩٧/١٠٤٢٤

الترقيم الدولى : 4-0671-08-977 I.S.B.N.

طبع بمطابع أخبار اليوم